من الأدب الكوري

كيم سونغ أوك وتشوي إن هو

رحلة موجين

وتليها السكير

ترجمة: لبنى أشرف محمود

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

كيم سونغ أوك وتشوي إن هو

رحلة موجين

وتليها

السكير

ترجمة: لبنى أشرف محمود

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

لبنى أشرف محمود/ تخرجت المترجمة من جامعة عين شمس كلية الألسن قسم اللغة الكورية وآدابها عام 2013 وحصلت على درجة الماجيستير في الأدب الكوري الحديث من جامعة "يونسية" في سيئول عام 2016 عن بحث بعنوان "بحث ترجمة أبرز أعمال الأدب الكوري الحديث الممثلة لمرحلة التحضر والتصنيع بكوريا الجنوبية (قصة شتاء سيئول 1964، قصة غرفة الغريب، قصة الطريق إلى سامبو)" . حاصلة على جائزة التميز من معهد ترجمة الأدب الكوري في البرنامج التدريبي لأكاديمية الترجمة للعام 2020. تعمل حاليا بكوريا الجنوبية.

رحلة موجين وتليها السكير
طبعة 2022
رقم الإيـــــداع: 2022/3314
الترقيم الدولي: 978-977-821-245-7

جميع الحقوق محفوظة ©

عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

No part of this book may be reproduced or utilized in any from or by means electronic or mechanical including photocopying recording or by any information storage and retrieval system without prior permission in writing of the publishers.

الناشر
محمد البعلي

إخراج فني
علاء النويهي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي دار صفصافة.

This is the full translation of:
A Trip to Mujin (무진기행) © Kim Seung-ok (김승옥).
Boozer (술꾼) © Choi In-ho (최인호).

"This book is published with the support of the Literature Translation Institute of Korea (LTI Korea)."

دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
49 شارع المخزن- العمرانية- الجيزة- مصر

بطاقة فهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية،
إدارة الشئون الفنية

كيم سونغ أوك، ١٩٤١-
رحلة موجين وتليها السكير: كيم سونغ أوك وتشوي إن هو،
ترجمة: لبنى أشرف محمود
الجيزة، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، ٢٠٢٢
٨٤ ص، ٢٠ سم
تدمك ٧-٢٤٥-٨٢١-٩٧٧-٩٧٨
١- القصص الكورية
أ- تشوي إن هو ١٩٤٥- ٢٠١٣ (مؤلف مشارك)
ب- أشرف محمود، لبنى (مترجم)
ج- العنوان

٨٩٥,٧٣

رقم الإيداع: ٣٣١٤/ ٢٠٢٢

المحتويـات

7 | رحلة (موجين): كيم سونغ أوك

59 | السكير: تشوي إن هو

رحلة (موجين)

كيم سونغ أوك

الحافلة المتجهة إلى (موجين)

بينما تلتف الحافلة حول المنحنى الجبلي رأيت اللافتة الحجرية (موجين 10 كم). كانت اللافتة بنفس هيئتها القديمة بارزة من بين حشائش الطريق، وأخذت أستمع إلى الحوار الذي بدأ يدور مرة أخرى بين الركاب الجالسين خلفي.

"بقي على الوصول 10 كم".

"نعم، سنصل بعد نحو 30 دقيقة".

ربما هما مفتشان زراعيان، أو ربما ليسا كذلك، على أي حال كان كل منهما يرتدي قميصًا منقوشًا ملونًا قصير الكمين وسروالاً من البوليستر، وكانا يلاحظان ما في القرى والحقول والتلال التي نمر بها في الطريق ملاحظات ربما لا تصدر إلا عن متخصصين زراعيين، مستخدمين في ذلك مصطلحات متخصصة.

فمنذ أن نزلت من القطار في مدينة (كوانغ- جو) وركبت الحافلة، وبينما أنا بين اليقظة والنوم، كان كلامهما يصل إلى مسامعي وهما يتحدثان بصوت خافت وأسلوب منمق يختلف عن أسلوب القرويين. كانت الكثير من مقاعد الحافلة خاوية. وعلى حسب ما ذكره هذان المفتشان، فإن ذلك يرجع إلى موسم الزراعة حيث لا يوجد لدى الفلاحين أي فرصة للسفر. "أينتج من (موجين) أي شيء مميز...لا يوجد شيء معين، أليس كذلك؟".

واستطردا قائلين: "كلا، لا يوجد شيء معين. والغريب أنه على الرغم من ذلك يعيش بها الكثير من الناس".

"كان بإمكانها أن تتطور إلى ميناء لقربها من البحر؟".

"ستعرف عندما تصل هناك أنها ليست مؤهلة لذلك أيضًا، فإن المياه بالقرب من (موجين) ضحلة وعليك أن تتوغل داخلها عشرات الكيلومترات حتى يظهر ما يمكننا أن نطلق عليه بحرًا حقيقيًّا نرى منه الأفق".

"معنى هذا أنها قرية زراعية؟".

"لكنها لا تملك ما هو جدير بأن يسمى مسطحًا زراعيًّا".

"إذًا كيف يعيش القاطنون هناك والذين يتراوح عددهم بين خمسين ألفًا وستين ألف نسمة؟".

"أليس هذا هو سبب وجود القول القائل "بطريقة أو بأخرى"؟ ثم ضحكا سويًّا ضحكة وقورة وما إن فرغا من الضحك حتى قال أحدهما: "حتى لو، فكل بلدة لا بد لها من ناتج محلي واحد على الأقل يميزها".

لم تكن (موجين) خالية مما يميزها، أنا أعرف ما يميز (موجين)، إنه الضباب. فعندما تستيقظ في الصباح من مضجعك وتذهب للخارج، ترى الضباب يطوق (موجين) كأعداء غائرين تكتلوا في سواد الليل. وقد عزل ذلك الضباب جميع الجبال التي تحيط

بـ(موجين) فأصبحت تلك الجبال منفية في بقعة نائية غير مرئية. كان أشبه بأنفاس شبح امرأة تأبى روحها الممتعضة أن تترك الدنيا وتأتي كل ليلة نافثة هذا الدخان من فمها. وقبل شروق الشمس وتغيير الرياح اتجاهها لتهب من ناحية البحر، لم يكن بمقدور الناس إزاحة تلك الأنفاس. مع أنه لا يمكن مسكها باليد إلا أنها كانت متواجدة بوضوح، وكانت تحيط بالناس وتجعلهم في معزل عن كل ما هو بعيد. إنه الضباب. ضباب (موجين). الضباب الذي يلاقي الناس في صباح (موجين). الضباب الذي يجعل الناس يتوقون بشدة إلى الشمس والرياح، فهل يعقل ألا يكون هذا الضباب هو أكثر ما يميز (موجين)؟

صارت رجة الحافلة أقل من ذي قبل. وكنت أشعر بمدى قوة أو ضعف تلك الرجة عن طريق ذقني، ولجلوسي مرتخيًا أثناء سير الحافلة على الطريق الريفي المغطى بالحصى، كان ذقني أيضًا يهتز بقوة مع قفزات الحافلة، وبالرغم من علمي بأنه في حالة استقلال الحافلة مع الاسترخاء التام لدرجة اهتزاز الذقن معها يؤدي إلى تعب شديد مقارنًا بالجلوس منتصبًا، إلا أن نسيم شهر يونيو العليل، القادم من النافذة المفتوحة والذي يداعب ما هو عار من بشرتي ويجرني إلى حالة خدر بين اليقظة والنعاس، لم يمكنني من الجلوس متمالكًا قوتي. وبدا لي وكأن الهواء عبارة عن جزيئات صغيرة، وكل جزيء منها مشبع بحبيبات منومة. وكانت طيات هذا الهواء تحمل أشعة الشمس الغضة، والبرودة البريئة التي لم تمتزج بعد بعرق المجهدين، ورائحة الملح التي

تدل على وجود بحر على الناحية الأخرى من السلاسل الجبلية، التي تتسارع نحو الحافلة المنطلقة في الطريق المحاصر بتلك السلاسل. امتزاج تلك العناصر جميعها وذوبانها مع الرياح كان متجانسًا وعجيبًا. سطوع أشعة الشمس الغضة، وبرودة الهواء العليل الكافية لشد البشرة، ونسبة رائحة الملح المختلطة مع هواء البحر... لو كان بإمكاني صنع قرص منوم من تلك العناصرالثلاثة مجتمعة، لأصبح أكثر الحبوب المنومة إنعاشًا مقارنًا بجميع الحبوب المنومة المتراكمة على أرفف الصيدليات في جميع أنحاء العالم. وحينها سأصبح مديرًا تنفيذيًّا لأكثر شركات الأدوية كسبًا للمال في العالم؛ لأن الجميع بلا استثناء يرغب في نوم هادئ، وإنه لأمر منعش أن ينعم الإنسان بنومة هادئة.

تلك الأفكار جعلتني أبتسم ابتسامة مُرة. وحينها أدركت بشدة أن (موجين) تقترب. كلما أتيت إلى (موجين)، اضطربت أفكاري هكذا واقتصرت دائمًا على خيالات أحلام اليقظة الغريبة. تلك الأفكار التي لا تخطر ببالي في أي مكان آخر، كانت تتبادر إلى ذهني بلا خجل أو توقف، فقط في (موجين). ففي (موجين) لم يكن الأمر أنني أفكر في شيء ما أو أفعل شيئًا من هذا القبيل، بل هي الأفكار تتشكل خارجي بحرية تامة ومن ثَم تتزاحم مقتحمة عقلي.

"الأمر ليس على ما يرام، فقد شحب وجهك كثيرًا. لتذهب إلى (موجين) للمكوث فيها عدة أيام بحجة زيارة قبر والدتك،

وأنا ووالدي سنقوم بتهيئة كل الأمور في اجتماع المساهمين، فلتستمتع ببعض الهواء النقي حيث لم تسنح لك تلك الفرصة منذ مدة طويلة، وعند عودتك ستكون قد أصبحت المدير التنفيذي لشركة الأدوية "ديهويسانغ"، أليس كذلك؟".

هكذا، وقبل عدة أيام ليلًا، نصحتني زوجتي بقلب صادق وهي تعبث بأصابعها في تلابيب بيجامتي. حينها، أخذت أتذمر متمتمًا ببضع كلمات كالأطفال وهم يبدون استياءهم عند الذهاب مجبرين في مُهمة يكرهون تأديتها، وقد كان هذا رد فعل عكسيًّا بناء على تجاربي السابقة بأنه لا يمكنني في (موجين) إلا أن أفقد نفسي.

لم أذهب إلى (موجين) بعد أن كبرت في العمر إلا بضع مرات، وفي كل مرة كانت رحلة (موجين) تأتي عند ضرورة الهرب من الفشل في سيئول أو في العموم عند الحاجة إلى انطلاقة جديدة. ولم يكن أبدًا ذهابي إلى (موجين) في كل مرة أحتاج فيها إلى بداية جديدة يأتي بمحض الصدفة، ولا لأن ذهابي إلى هناك يغمرني بجرأة مستحدثة، أو أن خططًا جديدة تبدأ في الظهور هناك شيئًا فشيئًا، بل على العكس، فأنا في (موجين) دائمًا ما كنت في حالة تقوقع بملابس رثة ووجه شاحب أتقلب في غرفة داخلية صغيرة، كان وقت يقظتي يمر بينما تتعاقب عليّ الأوقات، التي لا تعد ولا تحصى، ساخرة من حالي وأنا واقف شريد الذهن، وأما وقت نومي فقد كانت الكوابيس الطويلة تجلد بقسوة جسدي المنبطح، فتصوري عن (موجين) يتمثل في التنفيس عن غضبي

تجاه كبار السن الذين يقومون على رعايتي، أو الاستمناء للتخلص من أحلام اليقظة والأرق المرافقين لي بالغرفة الداخلية الصغيرة أو أعقاب السجائر القوية التي كثيرًا ما تجعل لوزتي تتورم، أو لهفة انتظاري رجل البريد، أو تصرفات تتعلق بما سبق.

بالطبع لم يكن تصوري مقتصرًا على تلك الأمور فحسب. ففي شوارع سيئول عندما أُذهل من الضوضاء التي تدخل مسامعي بلا رحمة وقتما تنتبه حاسة سمعي لما يدور في الخارج، أو في وقت متأخر من الليل عندما أصعد بسيارتي في الزقاق المرصوف أمام منزلي في حي (شين دانغ دونغ)، عندها كنت أتصور الريف حيث يجري النهر الممتلئ بالمياه ويمتد السد المغطى بالعشب على طول شاطئ البحر لمسافة 6 كيلومترات، وتوجد غابة صغيرة والكثير من الجسور، والأزقة والجدران الطينية، والمدارس ذات الملاعب المحاطة بأشجار الحور العالية، ومباني المكاتب ذات الساحات الصغيرة المفروشة بالحصى الأسود الآتي من الشاطئ، وأرائك البامبو الساكنة في ليل الشوارع. كانت تلك هي (موجين). وحين أفتقد الهدوء فجأة أتذكر (موجين)، ولكن حينها تكون بالطبع مجرد مكان راق أرسمه في خيالي لا وجود لبشر فيه. ولكن تظل الذكرى الأكثر ارتباطًا بـ(موجين) هي ذكرى شبابي المظلم.

ومع ذلك لم تكن ذكرى (موجين) تلاحقني دائمًا كظلي بل بالأحرى يمكنني القول إنه الآن ومع انقضاء أيامي الصعبة،

كنت على الأغلب شبه ناسٍ لـ(موجين) بشكل دائم. ومساء أمس أيضًا عند استقلالي القطار من محطة سيئول، بالطبع قد شغل بالي الحديث مع زوجتي وبعض موظفي الشركة بسبب الكثير من التعليمات التي لزم إعطاؤها لهم حين أتوا لتوديعي في المحطة، ولكن على أي حال لم تكن الذكريات المظلمة المصاحبة لـ(موجين) حاضرة في ذهني بوضوح، ولكن اليوم في الصباح الباكر، عندما نزلت من القطار في محطة (كوانغ جو) وخرجت من مبنى المحطة، رأيت امرأة مجنونة أحيت فجأة تلك الذكريات المظلمة وألقتها أمامي. كانت تلك المرأة متأنقة في زي كوري تقليدي مصنوع من النايلون ومكون من قميص وتنورة، وتحمل حقيبة وكأنها اختارتها بعناية ملائمة للموسم، بدت ذات وجه جميل بمساحيق تجميل مبهرجة. والعلامات الوحيدة لجنونها كانت حدقتي عينيها المتحركتين بلا هوادة، والأولاد منظفو الأحذية وهم يقفون دائرة حولها يتثاءبون ويسخرون منها.

"يقولون إنها فقدت عقلها من كثرة الدراسة".

"لا؛ لأن حبيبها تركها".

"هذه المرأة تجيد التحدث بلغة أمريكا، هل نسألها؟".

كان الأولاد حولها يتبادلون هذا الحديث بصوت مرتفع. وأحدهم، الذي بدا عليه أنه يافع ووجهه ممتلئ بالحبوب، كان يمس صدرها بأصابعه، وكلما فعل ذلك صرخت في كل مرة دون إبداء أي

تعابير على وجهها. وقد ذكرني صراخها فجأة بفقرة كنت قد كتبتها في يومياتي بالغرفة الداخلية الصغيرة بـ(موجين).

كانت أمي وقتها ما زالت على قيد الحياة. وبسبب حرب 25 يونيو توقفت محاضرات الجامعة، ولم أستطع اللحاق بآخر قطار، فاضطررت أن أمشي الطريق من سيئول حتى (موجين) سيرًا على الأقدام مسافة ما يقرب من 400 كيلومتر، مشيت ومشيت حتى شعرت بانتفاخ أصابع قدمي وعقب وصولي خبأتني أمي في الغرفة الداخلية الصغيرة، وهكذا تهربت من استدعاء الجيش التطوعي ومن الجيش الإلزامي أيضًا فيما بعد، وحتى عندما كان طلاب مدرسة (موجين) الإعدادية، حيث تخرجت، يركبون الشاحنات بساحة البلدة في مظاهرة من أجل المساهمة في القتال في الصفوف الأولى مرددين "يموت الجسد في سبيل أن يحيا الوطن..". وعلى إصبعهم الخنصر ضمادات ملفوفة، كنت مختبئًا في الغرفة الصغيرة أسمع فقط صيحات مسيرتهم المارة من أمام منزلنا. وحتى حين وصلتني أخبار إعلان اتجاه جبهة الحرب نحو الشمال واستئناف الدراسة، ظللت مختبئًا داخل الغرفة الداخلية الصغيرة في (موجين). كل هذا كان بسبب أمي الأرملة. فعندما هرع الجميع معًا نحو ساحة القتال، هرعت أمي وزجت بي في الغرفة الداخلية الصغيرة، فاختبأت بها ممارسًا العادة السرية، وعندما أتى خبر مقتل ابن الجيران الشاب في الحرب، اطمأنت أمي لأنني بأمان، وحين كانت تأتيني مراسلات عسكرية من أصدقائي الذين هم في جبهة الحرب، كانت تمزقها

دون علمي؛ لأنها كانت تعلم أنني أفضل جبهة الحرب عن الغرفة الداخلية الصغيرة. يومياتي التي دونتها في تلك الفترة، وأحرقتها فيما بعد فلم تعد موجودة الآن، كانت كلها تحوي اشمئزازي من نفسي وكيف كنت أحاول تحمل ذلك بالسخرية من عاري.

"أمي، إذا جننت الآن فلتعلمي أنه وربما وللأسباب التالية فقدت عقلي، فلتأخذي هذا الأمر في الاعتبار وتعالجيني..."، وقد استدعت تلك المرأة المجنونة، التي رأيتها صباح اليوم في ساحة المحطة، هذه الفترة التي دونت بها تلك المذكرات أمام عيني. وبسبب المرأة المجنونة شعرت أن (موجين) قد اقتربت، واللافتة الحجرية المغطاة بالأتربة والبارزة من وسط الحشائش، التي مررنا بها للتو، جعلتني أدرك ذلك أكثر.

"من المؤكد أنك ستصبح المدير التنفيذي هذه المرة، لذا فلتذهب إلى الريف وترح أعصابك وتأخذ قسطًا من الراحة نحو أسبوع ثم ترجع، فالمسؤولية ستزداد ثقلًا عليك عندما تصير المدير" اقترحت زوجتي وحماي هذا المقترح الفذ دون علم منهما. فاقتراحهما أن أذهب إلى (موجين) بالتحديد، حيث إنها المكان الذي أستطيع الاسترخاء فيه أو بمعنى آخر لا يمكنني إلا أن أسترخي فيه، كان حقًّا اقتراحًا غاية في العبقرية.

أخذت الحافلة تدخل وسط بلدة (موجين). كانت الأسقف جميعها المبلطة والمصنوعة من الصفيح والمصنوعة من القش، تتلألأ بضي فضي تحت أشعة شمس أواخر يونيو القوية. اقتربت

أصوات دق مطارق أعمال الحدادة نحو الحافلة لوقت قصير، ثم اختفت. وتسربت رائحة فضلات من مكان ما، وعند المرور من أمام المستشفى، هبت رائحة الكريزول، ونغمات بطيئة لأغنية حديثة كانت تخرج من سماعات أحد المتاجر. كانت الشوارع فارغة تمامًا، والناس جالسون القرفصاء مستظلين بحواف الأسطح البارزة، الأطفال عراة يمشون بتمايل في الظل، وميدان البلدة المرصوف فارغ تمامًا، فقط ظلت أشعة شمس يونيو التي تزغلل العيون تغلي فوق الميدان، وفي ظل الهدوء القاتل تحت أشعة الشمس الساطعة، كان هناك كلبان يعضان على طرف لسانيهما ويتجامعان.

صحبة الليل

استقيظت قبل وقت العشاء بقليل من غفوة الظهيرة وتوجهت نحو الشارع المكتظ بمكاتب الصحف. لم يكن أحد في منزل الخالة مشتركًا بخدمة توصيل الصحف، ولكن الصحف أصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياتي كأي مدني متحضر حيث كانت تتولى بداية يومي ونهايته. وفي مكتب الصحيفة كتبت لهم عنوان منزل الخالة ورسمت لهم خريطة بخط اليد. وأثناء خروجي من المكتب سمعت همهمات الناس خلفي فيما بينهم. يبدو أنهم كانوا يعرفونني.

"... حقًّا؟ يبدو متغطرسًا..". "... يقال إنه أصبح ناجحًا...؟" "... في الماضي... السُّل..".

ووسط تلك الهمهمات وفي قرارة نفسي، كنت أنتظر منهم كلمة واحدة عند خروجي، ولكن حتى النهاية لم تخرج كلمة "مع السلامة" من أحد منهم. وكان ذلك هو الفارق عن سيئول. هم حاليًا قد يكونون قيد انخراط تدريجي داخل دوامة الهمهمات حتى ينسوا أنفسهم، وكأنهم غير مدركين ذلك الفراغ الذي سيشعرون به حين تلفظهم تلك الدوامات إلى الخارج ليظلوا يهمهمون ويهمهمون ويهمهمون. كانت الرياح تهب من ناحية البحر، وقد أصبح الطريق أكثر ازدحامًا مقارنة بوقت نزولي من الحافلة قبل عدة ساعات. طلاب المدارس كانوا في طريق العودة إلى منازلهم بعد المدرسة، وبدا أنهم لم يعودوا يطيقون حمل حقائبهم، فتارة يلفونها ويحملونها فوق أكتافهم، وتارة يحتضنونها بأيديهم وهم يصنعون فقاعات من اللعاب بطرف ألسنتهم ثم ينفخون فيها من أنفاسهم ليطيروه في الهواء، وكان المدرسون والموظفون يمرون أيضًا حاملين أوعية أطعمتهم الفارغة محدثة أصواتًا وهم يتحركون بتثاقل، ولكن بدا لي كل هذا وكأنه مزحة، الذهاب إلى المدرسة، وتدريس الطلاب، والذهاب إلى المكتب والانصراف منه. كل ذلك كنت أراه مزحة سخيفة، وفكرت أنه من المضحك أن يعيشوا باذلين أقصى جهودهم متشبثين بتلك المزحة.

بعد عودتي إلى منزل الخالة، وأثناء تناولي الطعام جاءت لي

زيارة. اسمه (بارك) وهو طالب من مدرسة (موجين) الإعدادية، (هوبيه)[1] يصغرني بعدة سنوات. وطالما كان يكن لي كل الاحترام حيث كنت قارئًا نهمًا في فترة ما، وكان هو طالبًا محبًّا للأدب أثناء فترة الدراسة. وبالرغم من حبه للكاتب الأمريكي "فيتسجيرالد" إلا أنه على عكس محبي "فيتسجيرالد" كان هادئ الطباع، جادًّا في شؤونه اليومية. وكان فقيرًا.

"سمعت من صديقي الذي يعمل في الصحيفة أنك وصلت، ما الخطب؟" أبدى ترحيبه الصادق بي.

"لماذا؟ هل زيارتي لـ(موجين) أصبحت أمرًا ممنوعًا؟" وبينما أجيبه، لم تعجبني طريقة كلامي تلك.

"هذا مجرد سؤال حيث إنك لم تأت منذ فترة طويلة، لقد أتيت مرة حين أنهيت خدمتي العسكرية، وهذه هي المرة الأولى بعد تلك الزيارة، أي منذ.."

"مر على ذلك نحو أربع سنوات بالفعل".

قبل أربع سنوات، أتيت إلى (موجين) بعد أن فقدت وظيفتي كمحاسب في شركة الأدوية التي كنت أعمل بها، وذلك بسبب دمجها إلى شركة أكبر، ولكن لم يكن فقداني الوظيفة هو السبب الوحيد في مغادرة سيئول، فلو أن (هـوي) التي كنت أعيش معها

1- هوبيه: مصطلح في اللغة الكورية يشير إلى من هو أصغر في سنوات الدراسة/ العمل. (المترجمة)

ظلت بجانبي، لما كانت رحلة (موجين) البائسة.

"سمعت أنك تزوجت؟" سألني (بارك).

" نعم، وأنت؟".

"أنا، ليس بعد، يقولون إنك تزوجت زيجة جيدة".

"حقًّا؟ وأنت لماذا لم تتزوج إلى الآن؟ كم عمرك الآن؟".

"تسعة وعشرون".

"آه، تسعة وعشرون...يقال إن السنة قد تكون كبيسة بسبب الرقم تسعة[2]، ولكن لم لا تحاول هذا العام؟".

"لا أظن ذلك" حك بارك رأسه كولد صغير.

منذ أربع سنوات، كان عمري أنا وقتها تسعة وعشرين عامًا، وعندما كانت (هوي) تبتعد عني تاركة إياي، كان الزوج السابق لزوجتي الحالية قد توفي.

"إذًا ليس هناك أي مشكلة؟" سألني (بارك) الذي يعرف خلفيات زياراتي السابقة إلى (موجين).

"كلا، فقط يبدو أنني سأحصل على ترقية في العمل، لذا مُنحت

2- في الثقافة الكورية عندما يدخل الرقم تسعة في العمر مثل سن الـ9، 19، 29، يعتقد الكوريون أن حظ السنة يكون قليلًا خاصة في الزواج أو الانتقال إلى منزل جديد وغيرهما من الأمور الحياتية. (المترجمة)

إجازة لعدة أيام".

"رائع، لقد سمعت أنك الأكثر نجاحًا من ضمن خريجي مدرسة (موجين) الإعدادية".

"أنا؟" ثم ضحكت.

" نعم، أنت و(جو) هيونغ[3] من نفس دفعتك".

"هل تقصد بـ(جو) الذي كان مقربًا لي؟".

"نعم، فقد تخطى امتحانات الخدمة المدنية للمناصب العليا ربما في العام قبل الماضي والآن هو رئيس مكتب الضرائب هنا".

" آه حقًّا؟".

"ألم يصلك الخبر؟".

"لم نكن على تواصل، كان يعمل هنا كموظف في مكتب الضرائب قديمًا، ربما؟".

"نعم".

"هذا جيد، أأذهب لزيارته هذا المساء...؟".

كان (جو) قصير القامة ولونه يميل إلى السمار، لذا طالما أخبرني عن شعوره بالغيرة مني، حيث إنني طويل القامة وذو

3- هيونغ: مصطلح في اللغة الكورية يُستعمل بين الذكور للإشارة إلى الذكر الأكبر سنًّا. (المترجمة)

بشرة بيضاء. "يُحكى أن فتى أُخبر بأن خطوط الحظ بكفه ليست مُبشرة، فظل الفتى يعمل بهمة حتى يحفر بنفسه خطوط حظه السعيد على كفه، وفي النهاية نجح الفتى وعاش سعيدًا". كان (جو) أكثر من يتأثر بمثل تلك القصص.

سألت (بارك): "وأنت ماذا تفعل الآن؟".

احمر وجه (بارك) وتردد للحظة ثم أبلغني أنه مدرس في المدرسة التي تخرج فيها، ولكنه قالها بتردد وكأنه شيء مشين. "أليس جيدًا؟ كم هو جميل أن يكون لديك الوقت المتاح لقراءة الكتب، أنا لا أجد الوقت لتصفح مجلة واحدة. وماذا تدرّس؟".

بدا وكأنه تشجع من كلامي وأخذ يجاوبني بصوت أكثر حيوية بقليل من ذي قبل: "أدرّس اللغة الكورية".

"أحسنت، من الصعب أن تجد المدرسة معلمًا مثلك".

"لا، ليس صحيحًا، فمن الصعب تثبيت أقدامي بشهادة تدريس أمام خريجي كليات التربية".

"آه، أهو كذلك؟".

لم يرد (بارك) واكتفى بابتسامة حزينة.

بعد تناول العشاء شرب كل منا كأسًا من الخمر ثم اتجهنا نحو منزل (جو) مدير مكتب الضرائب. كان الطريق مظلمًا. أثناء عبوري الجسر نظرت إلى الانعكاس المعتم الضبابي على سطح

المياه للأشجار الموجودة على ضفاف الجدول. في الماضي حين كنت أعبر هذا الجسر ليلًا، كنت ألعن تلك الأشجار المتشابكة في العتمة. كانت تقف وكأنها ستصرخ حالًا منقضة علي. وفكرت كم سيكون العالم رائعًا بلا أشجار.

قلت له: "كل شيء على وضعه".

"هل ترى هكذا؟" قالها (بارك) مغمغمًا.

كان هناك أربعة ضيوف في غرفة المعيشة عند (جو)، كنت أرى وجه (جو)، الذي أخذ يمسك يدي ويهزها لدرجة تؤلمني، ووجهه قد صار براقًا أكثر من ذي قبل، وابيضت بشرته كثيرًا.

"فلتتفضلوا بالجلوس. يا لها من فوضى عارمة هنا.. يجب أن أتزوج بسرعة" ولكن الغرفة لم تكن بها ثمة فوضى.

"ألم تتزوج بعد؟" سألته.

"كلا، فقد قضيت كل وقتي غارقًا بين كتب القانون، تفضل اجلس". عرفني (جو) بالضيوف الآخرين الذين وصلوا هناك قبلنا، كانوا ثلاثة رجال موظفين في مكتب الضرائب، وامرأة أخذت تتبادل أطراف الحديث مع (بارك) الذي جاء معي.

"حسنًا فلنكتفِ من الأحاديث الجانبية، أستاذة (ها) فلترحبي بصديقي زميل الدراسة الإعدادية (يون هوي جونغ) المسؤول بشركة أدوية كبيرة في سيئول. أما الأستاذة فهي معلمة الموسيقى

في مدرستنا واسمها (ها إن سوك). أستاذة (ها) تخرجت العام الماضي في جامعة الموسيقى بسيئول".

"آه أهو كذلك؟ أنتما معًا في نفس المدرسة إذًا؟" سألتُ المعلمة وأنا أشير بالتناوب بينها وبين (بارك).

"نعم" جاوبتني المعلمة بابتسامة عريضة بينما أحنى (بارك) رأسه.

"هل أنتِ من (موجين)؟".

"لا، فقط تكليف عملي هنا، لذا أتيت بفردي". كانت تلك المرأة ذات وجه مميز، بحدود بيضاوية، وعينين واسعتين، ولون يميل إلى الأصفر، لو نظرنا لها بوجه عام كانت تعطي انطباعًا بأنها هزيلة، ولكن أنفها العالي وشفتيها الممتلئتين تدفعانك للتخلص من هذا الانطباع. وصوتها الحاد الواضح أيضًا أضفى قوة على الانطباع الذي تركه أنفها وشفتاها.

"فيم تخصصت؟".

"درست الغناء قليلًا".

"ولكن أستاذة (ها) تجيد أيضًا عزف البيانو".

تدخل (بارك) في الحوار بشكل حذر. ثم تدخل (جو) أيضًا. "تجيد الغناء جدًّا. وتبدع في غناء السوبرانو".

”آه، تغنين سوبرانو؟“ سألتها.

”نعم، لقد غنيت في حفل التخرج أغنية (يوم جميل) من أوبرا (السيدة فراشة)“ أجابت بصوت بدا منه أنها تفتقد حفل التخرج.

كانت وسائد الجلوس المصنوعة من الحرير موضوعة على الأرض مبعثرًا عليها كروت اللعب التقليدية. إنها (موجين).

تلك الكروت، حين كنت أستيقظ قرب الظهر وأخمن بها حظ يومي السخيف بعينين دامعتين شبه مغلقتين، بسبب دخان السجائر التي كنت أتركها في فمي حتى توشك أعقابها أن تحرق شفتي، أو صالة القمار التي دفعت نفسي إليها في وقت ما وكأنني أردت أن ألقي بنفسي فيها. تلك الكروت التي جعلتني أثناء المقامرة أفقد جميع حواس جسدي ما عدا الحرارة المتزايدة برأسي وأصابعي.

أمسكت بإحدى الكروت وضربتها على الأرض مصدرة صوتًا، وكررت ذلك مرتين وفي الثالثة همهمت ”إنها كروت اللعب التقليدية، يا لها من كروت“.

”هل نلعب مرة على المال؟“ اقترح علي أحد العاملين في مكتب الضرائب. ولم أرغب بذلك.

”فلنلعبها في المرة القادمة“.

ابتسم موظفو مكتب الضرائب ابتسامة عريضة. دخل (جو)

إلى مكان ما وخرج منه، وبعد وهلة خرجت طاولة عليها الطعام والخمور.

"كم ستبقى هنا؟".

"نحو أسبوع".

"كيف لك أن تتزوج دون أن ترسل لي دعوة الفرح؟ في الواقع حتى وإن كنت أرسلت لي دعوة فلما تمكنت من الحضور لأنني وقتها كنت مجرد موظف بسيط غارقًا في تحريك خرزات المعداد بمصلحة الضرائب".

"حتى وإن لم أرسل لك الدعوة، يجب أن ترسل لي أنت دعوة فرحك".

"لا تقلق، ستتمكن من استلامها خلال هذا العام". وشربنا بيرة خفيفة الرغوة.

"شركة الأدوية أي المكان الذي تُصنع فيه الأدوية، أليس كذلك؟".

"بلى، صحيح".

"إذًا لن يكون لديك أي قلق من المرض".

ضحك الموظفون طويلًا وهم يضربون بأرض الغرفة وكأنه قد أتى بأضحوكة غاية في الظرف.

”صحيح يا سيد (بارك)، سمعت أنك مشهور جدًّا بين الطلبة، لماذا لم تأتِ أبدًا لزيارتي برغم أنك تسكن على بُعد مسافة مشي نحو 5 دقائق فقط؟“.

”كانت زيارتك على بالي دائمًا ولكن...“.

”طالما سمعت عنك من الأستاذة (ها) الجالسة هناك، حسنًا، يا أستاذة (ها) البيرة لا تعتبر خمرًا، لذا فلتشربي كأسًا، لماذا تبدين هادئة اليوم على غير العادة؟“.

”حسنًا حسنًا، ضعها هنا. سأشربها“.

”شربتِ البيرة من قبل، أليس كذلك؟“.

”في أيام الجامعة مع الأصدقاء، سبق وأن شربنا السوجو[4] بعد أن أغلقنا علينا الباب من الداخل“.

”لم أكن أعرف أنك سكيرة“.

”لم أكن أريد أن أشرب، فقط أردت معرفة طعمه من باب التجربة“.

”وكيف كان طعمه؟“.

”لا أعرف، فقد سقطت نائمة فور إنزال كأس السوجو عن فمي“.

4- السوجو: شراب خمر كوري تقليدي.

ضحك الجميع. فقط (بارك) بدا وكأنه يضحك رغمًا عنه.

"دومًا ما فكرت أن تلك الصفة هي أحسن ما في الأستاذة (ها)، ألا وهي أنها تضيف قدر الإمكان جانبًا فكاهيًّا على الحكايات، نعم، إنها تلك الصفة بالتحديد".

"لا أتعمد الحكي بشكل فكاهي، هي فقط عادتي منذ أيام الجامعة".

"أها، وأيضًا أسوأ صفة في الأستاذة (ها) هي تلك المقولة، ألا يمكنك الحديث دون قول "عندما كنت في الجامعة"؟ هل يمكن لشخص مثلي لم يقترب حتى من بوابة الجامعة أن يحيا مع كل هذا الخزي؟".

"آسفة".

"إذًا هل يمكنك أن تغني لنا أغنية كاعتذار لي؟".

"هذه فكرة جيدة".

"ممتاز".

"فلنستمع لأغنية". صفق الجميع، وترددت الأستاذة.

"ولأننا لدينا ضيوف من سيئول أيضًا... تلك الأغنية التي غنيتها المرة السابقة، كانت جميلة". هكذا استعجلها (جو).

"حسنًا، سأغني". وبدأت الأستاذة بالغناء محركة شفتيها

حركات بسيطة مع تعابير قليلة على وجهها. وشرع موظفو مكتب الضرائب بالنقر بأصابعهم على طاولة الخمر. كانت مدرسة الموسيقى تغني أغنية (دموع موكبو). ترى ما أوجه الشبه بين أغنية (دموع موكبو) وأغنية (يوم جميل)؟ وما الذي يجعل أغنية حديثة تخرج من حنجرة تشبعت بأغاني "الأريا" الكلاسيكية؟ فأغنية (دموع موكبو) بصوتها لا يوجد بها التغير الحاد في طبقات الصوت الذي يمكنك أن تسمعه من غناء النادلات، ولا ذلك الصوت المهتز الذي تتميز به الأغنية الحديثة، ولا توجد أيضًا نبرة الأسى الموجودة عادة في تلك الأغاني، كانت أغنية (دموع موكبو) بطريقتها بعيدة عن الأغنية الحديثة، كما أنها كانت بعيدة كل البعد عن أغاني الأريا الكلاسيكية كأغاني (السيدة فراشة). كانت طريقة غنائها جديدة تمامًا لم تكن موجودة من قبل. فقد كان الأسلوب يحوي أسى أكثر قسوة من الأسى المتعارف عليه في الأغنية الحديثة، كما كان يحتوي على آهات بطبقات غنائية أعلى من الآهات التي بأغنية (يوم جميل)، وتتراءى منه ضحكة ساخرة لامرأة مجذوبة طليقة الشعر، والأهم من ذلك يفوح منه ما يشبه رائحة الأجساد المتحللة، رائحة (موجين).

عندما انتهت من الغناء، صفقت لها راسمًا على وجهي متعمدًا ابتسامة بلهاء، وأدركت بشكل ما أن (بارك) يريد أن يغادر، ربما هي الحاسة السادسة! فور أن وجهت نظري نحو (بارك)، قام من مكانه وكأنه كان يتحين أن أنظر إليه. طلب منه أحدهم الجلوس ولكنه اعتذر بابتسامة لطيفة.

”اسمحوا لي بالانصراف أولًا، هيونغ نيم[5] أراك غدًا“. تبعه (جو) حتى البوابة الرئيسة وأنا خرجت لاصطحابه حتى الشارع الرئيسي. لم يكن الليل قد توغل بعد، ومع ذلك كانت الشوارع خاوية. وصل إلى أسماعنا من مكان ما صوت نباح كلب، وأخافت ظلالنا بعض الفئران التي كانت تأكل شيئًا ما من الطريق، فتفرقوا. ”انظر هيونغ نيم، الضباب ينسدل“ وبالفعل كانت نهاية الشارع الرئيسي والمشاهد المعتمة للمنطقة السكنية البعيدة التي تتناثر بها الأضواء تبهت شيئًا فشيئًا.

سألته: ”أنت معجب بالأستاذة (ها)، أليس كذلك؟“ ابتسم (بارك) ابتسامة لطيفة مرة أخرى.

”يبدو أن تلك المعلمة والسيد (جو) على علاقة ما، أليس كذلك؟“.

”لا أعرف، ربما هي إحدى الفتيات التي يفكر (جو) هيونغ في الزواج منها“.

”إن كنت معجبًا بها فعليك أن تكون مقدامًا، بالتوفيق“.

”الأمر ليس كذلك..“. تلعثم بارك في الكلام كولد صغير. ”فقط بدت لي مثيرة للشفقة وهي تغني الأغاني الحديثة وسط هؤلاء السوقيين، لذلك انصرفت“ تحدث بنبرة خافتة كالذي يكتم غضبه.

5- نيم: مصطلح يُضاف لإضفاء الاحترام على صفة المنادى. هيونغ- نيم: من في مقام الأخ الأكبر. (المترجمة)

”كل ما في الأمر أنه هناك مقام للأغاني الكلاسيكية ومقام للأغاني الحديثة. هل يستدعي ذلك الشعور بالشفقة؟“ أرحته بكلماتي الكاذبة.

ذهب (بارك) وانضممت أنا مرة أخرى إلى صحبة أولئك السوقيين. هكذا يفكر الجميع في (موجين)، إن الآخرين جميعهم سوقيون، وأنا أيضًا أفكر مثلهم، فأفعال الآخرين كلها ما هي إلا مزحة لا وزن لها كأمر فارغ لا مضمون له.

كان الليل قد توغل بعمق حين هممنا بالانصراف. عرض علي (جو) أن أبيت الليلة عنده، ولكنني فكرت في مدى عدم الارتياح الذي سأكون عليه عند الاستيقاظ من النوم صباح الغد وحتى مغادرة هذا المنزل، فأصررت على الانصراف وخرجت. وبينما نحن في الطريق تفرق الموظفون واحدًا تلو الآخر ولم يتبق غيري أنا والمرأة. كنا نعبر الجسر. وكانت مياه الجدول بهيئتها اللامعة تمتد داخل المشهد القاتم وتختفي نهايتها داخل الضباب.

قالت المرأة: ”إنها بلدة بديعة ليلًا“.

أجبتها: ”هل ترين هكذا؟ جيد“.

قالت: ”أعتقد أنني أستطيع أن أخمن لماذا تقول جيد“.

سألتها: ”إلى أي مدى خمنت؟“.

”لأنها في الحقيقة ليست بديعة، أأصبت الإجابة؟“.

"تقريبًا".

عبرنا الجسر بالكامل. كان يجب علينا الافتراق هناك، حيث تذهب هي في الطريق الممتد بمحاذاة الجدول وأذهب أنا في الطريق المباشر إلى الأمام.

قلت لها: "آه، ستذهبين في هذا الاتجاه؟ حسنًا..".

قالت لي بصوت مرتعش بعض الشيء: "فلترافقني قليلًا في الطريق، إنه مخيف حيث إنه هادئ جدًّا"، فمشيت جنبًا إلى جنب معها مرة ثانية. وفجأة شعرت كأنني وهذه المرأة أصبحنا مقربين بعضنا من بعض. فمن حيث انتهى الجسر، ومنذ لحظة طلبها بصوت مرتعش أن أصطحبها في الطريق وكأنها خائفة فعلًا، شعرت أن هذه المرأة تسللت إلى حياتي. مثل جميع أصدقائي، لا يمكنني الآن إنكار معرفتهم، أصدقائي الذين أحيانًا أكون قد أفسدتهم، ولكن إفسادهم لي كان أكثر بكثير.

قالت لي فجأة: "عندما رأيتك للوهلة الأولى، لا أعرف كيف أشرح ذلك، هل أقول إنه تفوح منك رائحة سيئول؟ شعرت وكأنني أعرفك منذ زمن طويل، غريب جدًّا، أليس كذلك؟".

قلت لها: "الأغاني الحديثة".

"نعم؟".

"أقصد لماذا تغنين الأغاني الحديثة؟ ألا يتجنب دارسو

الموسيقى الكلاسيكية قدر المستطاع تأدية الأغنية الحديثة؟".

"هؤلاء هم من يطلبون مني دائمًا غناء الأغاني الحديثة فقط".

وبعد أن أجابتني ضحكت على استحياء بصوت خافت.

"هل يكون تطفلًا مني إذا قلت لك إنه من الأفضل عدم الذهاب هناك إن كنت لا ترغبين في غناء الأغاني الحديثة؟".

"فعلًا لقد عزمت ألا أذهب هناك مرة أخرى، إنهم حقًّا أناس تافهون بلا قيمة".

"إذًا لماذا كنت ترتادين ذلك المكان حتى الآن؟".

أجابت دون همة: "لأنني أشعر بالملل". الملل، نعم إنه أدق وصف.

"لقد غادر (بارك) عندما كنت تغنين الأغنية الحديثة لأنه شعر بالشفقة عليك". راقبتُ ملامحها وسط الظلام.

"(بارك) حقًّا رجعي". ضحكت بصوت عالٍ وكأنها مستمتعة.

قلت لها: "هو طيب القلب".

"نعم، طيب جدًّا".

"أستاذة (ها)، ألم يخطر ببالك من قبل أن (بارك) يحبك؟".

"أستاذة (ها) أستاذة (ها)، توقف عن مناداتي هكذا، فلو كنت

أخًا لي، لكنت بمثابة أخي الأكبر".

"إذا كيف أناديك؟".

"فقط نادِني باسمي، اسمي إن- سوك".

"إن- سوك، إن- سوك" أخذت أتمتم باسمها بصوت خافت. وقلت لها "هذا أفضل". "لماذا تتجنبين سؤالي يا إن- سوك؟".

أجابتني ضاحكة: "أي سؤال؟" كنا نمر بجانب حقول الأرز.

في ليالي الصيف، عندما كنت أستمع إلى نقيق الضفادع الذي يصل إلى مسامعي من الحقول القريبة والبعيدة، تلك الأصوات التي تشبه أصوات عدد كبير من أصداف المحار المتصادمة في آن واحد، كنت أشعر بأن نقيق الضفادع ذلك يتحول داخل حواسي إلى عدد لامتناهٍ من النجوم المتلألئة. كانت الأصوات تتحول إلى صور بصرية في ظاهرة غريبة داخل حواسي. لماذا كانت تضطرب حواسي بما يصور إليّ نقيق الضفادع بالنجوم المتلألئة؟ ولكن هذا لا يعني أنني كنت أشعر كأني أسمع نقيق الضفادع حين كنت أنظر إلى النجوم المتلألئة في السماء. فحين كنت أنظر إلى النجوم، كانت تدرك حاسة النظر لدي بوضوح المسافة المؤسفة بيني وبين نجم ما، وبين ذاك النجم وغيره من النجوم، ولست أعني هنا ما تعلمته في كتب العلوم، فما أقصده أن نظري كان يصبح أكثر حدة شيئًا فشيئًا وكأن عينيّ تصيران أكثر دقة في رؤية تلك المسافة. كنت أقف ساهمًا في مكاني منبهرًا

بتلك المسافة حيث لا يمكن الوصول إليها وكان قلبي ينبض في تلك اللحظة وكأنه سينفجر. لماذا لم أكن أستطيع التحمل؟ لماذا غضبت هكذا في الماضي ولم أتمالك نفسي وأنا الذي كنت أشاهد النجوم المتلألئة بعدد لامتناهٍ في سماء الليل؟

سألتني: "فيم تفكر؟".

"نقيق الضفادع"، أجبتها رافعًا بصري نحو السماء، بدت النجوم باهتة خلف الضباب المنسدل.

"أها نقيق الضفادع. صحيح! لم أنتبه له حتى الآن. كنت أظن أن ضفادع (موجين) تبدأ بالنقيق بعد منتصف الليل فقط".

"بعد منتصف الليل؟".

"نعم، فبعد منتصف الليل يُغلَق الراديو في المنزل الذي أستأجر غرفة فيه، وحينها لا أستمع إلا لأصوات الضفادع".

"ماذا تفعلين مستيقظة إلى ما بعد منتصف الليل؟".

"فقط أحيانًا لا يأتيني النوم". أحيانًا لا يأتيها النوم، غالبًا تلك هي الحقيقة.

سألتني فجأة: "هل السيدة جميلة؟".

"هل تقصدين زوجتي؟".

"نعم".

”جميلة طبعًا“. أجبتها وأنا أضحك.

”أظن أنك سعيد، ألست كذلك؟ لديك مال كثير وزوجة جميلة وأطفال لطفاء لذا...“.

”ليس لدي أطفال بعد، لذا فأنا أقل سعادة بقدر طفيف“.

”حقًّا؟ منذ متى وأنت متزوج ليكون ليس لديك أطفال بعد؟“.

”حاليًا ثلاث سنوات وأكثر بقليل“.

”لماذا أنت وحدك في سفرة بلا غرض معين؟“.

لماذا تسألني هذه المرأة سؤالًا كهذا؟ ابتسمت لها بهدوء.

ثم قالت لي بصوت أكثر مرحًا من ذي قبل: ”سأناديك بـ“أوبا[6] ”من الآن فصاعدًا، فهل ستأخذني معك إلى سيئول؟“.

”هل تريدين الذهاب إلى سيئول؟“.

”نعم“.

”هل تكرهين موجين؟“.

”أعتقد أنني سأصاب بالجنون، ربما أجن قريبًا جدًّا، فكثير من زملاء الجامعة متواجدون في سيئول...آه حقًّا أنا أتوق إلى

6- أوبا: (oppa) مصطلح في اللغة الكورية يرمز إلى الأخ الأكبر للفتاة. وتنادي به الفتيات من هم أكبر منها في السن من الأصدقاء الذكور أو الحبيب.

الذهاب إلى سيئول". أمسكت المرأة بذراعي للحظة ثم تركتها سريعًا. شعرت فجأة بالإثارة. قطبت جبيني. قطبت جبيني وتجهمت وعبست حتى هدأت الإثارة.

"ولكن الآن أينما تذهبين فلن يكون كأيام الجامعة، يا (إن-سوك) أنت امرأة، لذا إذا لم تواري نفسك داخل عائلة فستشعرين أنك ستجنين في أي مكان تذهبين إليه".

"فكرت في ذلك أيضًا، ولكن الآن أظن أنني سأجن حتى وإن أصبح لدي عائلة، إن لم يكن رجلًا أعجب به حقًّا، حتى وإن أعجبني بالفعل، لا أطيق العيش هنا، سأستجديه لكي نهرب من هنا".

"ولكن بناء على تجربتي فإن الحياة في سيئول ليست جيدة بالضرورة، إنها مسؤولية، ليس هناك سوى المسؤولية".

"ولكن هنا لا وجود للمسؤولية أو عدم المسؤولية. على أي حال أريد الذهاب إلى سيئول. هل ستأخذني معك؟".

"فلنفكر في الأمر".

"ضروري، اتفقنا؟" كنت فقط أبتسم. ووصلنا أمام منزلها.

"يا أستاذ، ما خطتك للغد؟" سألتني.

"امم، من المفترض أن أزور قبر والدتي في الصباح، وبعدها ليس لدي ما أفعله، كنت أفكر في الذهاب إلى الشاطئ، حيث

يوجد منزل كنت قد استأجرت به غرفة لفترة ما، فسأذهب لإلقاء التحية على أهله".

"يا أستاذ، فلتذهب هناك غدًا بعد الظهيرة".

" لماذا؟".

"أنا أيضًا أريد الذهاب معك. غدًا السبت ولدي دروس صباحية فقط".

"حسنًا". اتفقنا على موعد ومكان لقائنا غدًا، ثم افترقنا. وتثاقلت خطاي في طريق العودة إلى منزل الخالة شاعرًا بكآبة غريبة.

حين تلحفت بغطاء النوم انطلقت صافرة الإنذار لحظر التجول، كان صوتًا مفاجئًا وصاخبًا، وامتد طويلًا. وامتصت الصافرة كل الأفكار والأشياء. وأخيرًا اختفى كل ما بالعالم، لم يتبق شيء سوى الصافرة، وبدا وكأن هذا الصوت سيستمر لفترة طويلة لدرجة تجعلني لا أشعر به. حينها ضعف الصوت فجأة واختفى تاركًا أنينًا طويلًا. فقط أفكاري هي من عادت مرة أخرى إلى الحياة. واستحضرت الحوار الذي دار بيني وبين المرأة حتى قبل قليل. شعرت أننا تحدثنا عن الكثير ولكن لم يتبق داخل أذني سوى القليل مما تحدثنا عنه. بعد مرور بعض الوقت، كم سيضيع من هذا الحوار عندما يأخذ مكانه من أذني إلى رأسي ثم من رأسي إلى قلبي؟ في النهاية قد يتبخر كله. فلنفكر ببطء. قالت لي تلك

المرأة إنها تريد الذهاب إلى سيئول. قالت هذا الكلام بصوت مثير للشفقة. فجأة انتابتني رغبة في احتضانها. و..... لا، هذا فقط ما يمكن أن يتبقى في قلبي. ولكن هذا أيضًا سوف يتلاشى عن سطح قلبي فور مغادرتي (موجين). لم أستطع النوم. ربما أيضًا بسبب قيلولة الظهيرة. دخنت سيجارة في الظلام. كنت أسترق النظر بطرف عيني إلى الملابس البيضاء المعلقة على الحائط والتي تطل عليّ من علٍ، كأنها أشباح كئيبة. أسقطت رماد السيجارة في مكان مناسب بالقرب من موضع رأسي. مكان يمكن مسحه بخرقة في صباح الغد. وصل إلى مسامعي صوت مبهم "لنقيق الضفادع التي تصدر أصواتها بعد منتصف الليل".

سمعت من مكان ما صوتًا خافتًا لساعة تعلن تمام الواحدة صباحًا.

الساعة تعلن تمام الثانية.

الساعة تعلن تمام الثالثة.

الساعة تعلن تمام الرابعة.

وبعد قليل انطلقت صافرة انتهاء الحظر. إما الساعة أو الصافرة إحداهما كانت غير دقيقة. كان صوتًا مفاجئًا وصاخبًا، وامتد طويلًا. وامتصت الصافرة كل الأفكار والأشياء. وأخيرًا اختفى كل ما بالعالم، لم يتبق شيء سوى الصافرة، وبدا وكأن هذا الصوت سيستمر لفترة طويلة لدرجة تجعلني لا أشعر به. حينها ضعف

الصوت فجأة واختفى تاركًا أنينًا طويلًا. ربما في أماكن عدة يتجامع الأزواج، لا لربما ليس الأزواج بل بائعة هوى مع ضيفها. لم أكن أعرف لماذا أفكر بتلك الأفكار السخيفة. وبعد فترة تسلل النوم خلسة إليّ.

السد العريض الممتد تجاه البحر

كان رذاذ قطرات الندى يتساقط في صباح ذلك اليوم، وقبل تناول الإفطار حملت مظلتي واتجهت ناحية قبر والدتي القابع على جبل قريب من البلدة. شمرت عن بنطالي إلى فوق ركبتي وركعت على ركبتي وسط الأمطار، جعلت مني الأمطار ابنًا بارًّا للغاية، انتزعت بيد واحدة الحشائش الطويلة التي نمت فوق شاهد القبر، وتخيلت، وأنا أنزع الحشائش، حماي العجوز وهو يزور من لهم علاقة بالتصويت ويضحك مقهقهًا لكي يجعلني مديرًا تنفيذيًّا. وعندها شعرت برغبة في أن أدخل المقبرة.

في طريق العودة قررت أن أسلك ضفة الطريق المزدانة بالحشائش رغم طول هذا الطريق، وتطاير رذاذ قطرات الندى الأبيض بفعل الرياح واهتز المشهد حسب اتجاه الأمطار، أغلقت مظلتي، وأثناء عودتي ماشيًا على ضفة الجدول، رأيت الطلاب، القادمين من قرى أخرى متجهين نحو مدرسة البلدة، وهم مجتمعين في تجمعات يثرثرون عند الحشائش النامية بجانب

المياه تحت السفح المنحدر للسد. وكان وسطهم عدد من كبار السن وعريف شرطة بملابس المطر يجلس القرفصاء على منحدر السد ويدخن سيجارة وهو ينظر بعيدًا، وامرأة عجوز كانت تتمتم وتطقطق بلسانها وهي تمر عابرة بين جمع الطلاب ثم انصرفت، وصلت حتى نهاية منحدر السد وسألت عريف الشرطة وأنا مار بجانبه:

"ماذا حدث؟".

"هناك جثة منتحر" رد عليّ الشرطي بلامبالاة.

"من؟".

"امرأة من الحانة التي بالبلدة، حتمًا يموت بضعة أشخاص بحلول بداية الصيف".

"آه" كنت أظن أن تلك الساقطة القاسية لن تموت، ولكن يبدو أنها كانت مجرد بشر مثل الجميع "آه".

نزلت عند المياه ودخلت وسط الطلاب، وجه الجثة المنتحرة كان ناحية مياه الجدول لذا لم أره، كان شعرها متموجًا وذراعاها ورجلاها بيضاء وسميكة، كانت ترتدي سترة خفيفة حمراء وتنورة بيضاء. يبدو أن الجو كان باردًا فجر ليلة الأمس. أو لربما كانت مولعة بارتداء تلك الملابس، كانت رأسها مسندة إلى حذاء مطاطي أبيض بنقوشات زهور زرقاء، وكان هناك منديل أبيض متدحرج يبعد بمسافة عن يدها المرتخية، كان ملفوفًا على شيء

ما، كان المطر يتساقط على المنديل ولم يرفرف مع الرياح ولو قليلًا، دخل العديد من الطلاب بأقدامهم داخل مياه الجدول وكانوا واقفين ناحيتي لكي يروا وجه الجثة.

وانعكست صورة ملابسهم المدرسية الزرقاء بشكل عكسي على سطح المياه، تلك الأعلام الزرقاء كانت تقف حامية للجثة، شعرت فجأة بشهوة غريبة تجاه هذه المرأة المنتحرة، تركت المكان مسرعًا.

"لا أعرف أي دواء أخذت ولكن لربما تزال هناك فرصة..". قلت لعريف الشرطة.

"هؤلاء النسوة يتناولن السيانيد، ولا يتناولن بضع حبات من المنوم ويفتعلن مسرحية هزلية مدوية، وهذا وحده ما نشكرهن عليه". تذكرت أحلام اليقظة في الحافلة المتجهة إلى (موجين) حيث أصنع وأبيع حبوبًا منومة. أشعة الشمس الغضة، وبرودة الهواء العليل الكافية لشد البشرة، ونسبة رائحة الملح المختلطة مع هواء البحر... لو كان بإمكاني صنع قرص منوم من تلك العناصرالثلاثة مجتمعة... ولكن أليس هذا المنوم مصنوعًا بالفعل؟

وفجأة خطر ببالي أنه ربما السبب الذي جعلني في حالة أرق أتقلب طوال ليلة البارحة هو مؤازرة تلك المرأة أثناء احتضارها. يبدو أنه ومع دوي صافرة انتهاء الحظر، تناولت المرأة الدواء

وعندها بدأت أغرق في النوم.

وللتو شعرت أن تلك المرأة كانت جزءًا مني، جزءًا يؤلمني ولكن لا بد أن أحافظ عليه. نفضت ماء المطر عن المظلة المغلقة وأنا عائد إلى المنزل، وكان بانتظاري عند المنزل رسالة من (جو) رئيس مكتب الضرائب.

"فلتمر على المكتب إن لم يكن عندك ما تفعله".

تناولت طعام الإفطار ثم اتجهت نحو مكتب الضرائب. توقفت الأمطار ولكن السماء ظلت غائمة. ظننت أني أعرف الغرض الذي يسعى إليه (جو)، إنه يريد أن يريني نفسه جالسًا بمكتب رئيس المصلحة. ربما كانت فكرتي غير قويمة، قررت أن أصلح تفكيري. تُرى هل هو راضٍ عن كونه مديرًا لمكتب الضرائب؟ ربما هو كذلك. إنه شخص ملائم لموجين، لا لقد قررت أن أصلح من تفكيري، إن المعرفة العميقة حول شخص ما، أو التظاهر بذلك، قد يكون أمرًا شديد البؤس من وجهة نظر ذلك الشخص. لأن انتقادنا أو على الأقل تقييمنا يكون لمن نعرفهم تمام المعرفة.

كان (جو) يرتدي فانلة داخلية، مشمرًا بنطاله ليصل حتى فوق ركبتيه ويهوي بالمروحة اليدوية. بدا لي ضئيلًا جدًّا، وشعرت بالشفقة عليه عندما أبدى حركات كأنها تدل على تفاخره بنفسه لجلوسه على الكرسي الدوار المغطى بغطاء أبيض.

سألته: "ألست مشغولًا؟".

”أنا ليس لدي الكثير لأفعله، يبدو وأنه في المناصب العليا كل ما عليك فعله هو التمتمة بأنك ستتحمل المسؤولية“. ولكنه أبدًا لم يكن متفرغًا، أخذ عدد من الموظفين يأتون ذهابًا وإيابًا ليحصلوا على ختم (جو) على المستندات، وتراكمت مستندات أكثر منتظرة قراره.

قال لي: ”منشغل اليوم بعض الشيء لأن اليوم هو السبت بالإضافة إلى أنه نهاية الشهر“. ولكن وجهه كان يبدو عليه الفخر كونه مشغولًا. مشغول، مشغول لدرجة عدم توافر وقت حتى للتفاخر، هكذا كنت أنا في سيئول، هل أقول إنهم هنا لا يجيدون العيش لهذه الدرجة؟ حتى الانشغال لا يجيدونه، حينها فكرت أن عدم تمكن الشخص من عمله، أيًّا كان هذا العمل حتى ولو السرقة، لهو أمر مثير للشفقة بل ويعطي الرائي شعورًا مثيرًا للأعصاب. فحين ينجز أحدهم عمله بسلاسة يشعرنا هذا مبدئيًّا بالطمأنينة.

سألته: ”آه صحيح، هل الأستاذة (ها) التي قابلناها بالأمس إحدى من تفكر بهن كزوجة مستقبلية؟“.

”زوجة مستقبلية؟“ سألني بصوت مرتفع وهو يضحك؛ ”أهذا هو رأيك عن مستوى زوجتي المستقبلية؟“.

”وما الخطب بها؟“.

”هل تقصد أنك ستكون راضيًا إذا ما انتهيت بامتلاك مجرد

مدرسة موسيقى هزيلة لا يُعرف لها أصل، وأنت أيها الداهية من تشبث بأرملة لديها الكثير من المال والعلاقات". وبعد أن قال قوله هذا انتابته نوبة ضحك كأنه سيموت من شدة المرح.

قلت له: "شخص في وضعك هذا، ألا يمكنه أن يرتبط بامرأة ولو كانت شحاذة؟".

أجابني:"لا الأمر ليس كذلك، إن لم يكن هناك من يرفعني للأعلى من عائلتي، فعلى الأقل لا بد أن يكون هناك أحد من عائلة زوجتي". بدا من لهجته أنه يراني كمتآمر.

"أتعلم، إنه لعالم ساخر، فور ما نجحت في امتحان الخدمة المدنية للمناصب العليا جاءني كثير من طلبات الخاطبات... ولكنهن جميعهن كن شنيعات، إنه لمن المثير للاشمئزاز أن تفكر النساء بأنهن سيتزوجن ورأس مالهن الوحيد هو مجرد أعضائهن التناسلية".

"إذًا معلمة الموسيقى أيضًا واحدة من تلك النساء؟".

"إنها خير مثال عليهن، لا تتخيل كم ظلت تلاحقني حتى صار الأمر مزعجًا".

"ولكن بدا لي أنها امرأة ذكية إلى حد ما".

"إنها ذكية ولكني بحثت عن خلفية عائلتها ووجدتها عائلة مهترئة، حتى وإن ماتت هنا فلن يأتي أحد محترم من بلدتها

ليأخذ جثتها".

أردت مقابلتها بسرعة. وشعرت كأنها الآن تلفظ أنفاسها الأخيرة في مكان ما. رغبت في الذهاب سريعًا لأراها.

ابتسم ابتسامة واسعة قائلًا: "(بارك) الذي لا يعرف شيئًا عما يدور بوجدانها، يحبها".

"بارك؟!" تصنعت المفاجأة.

"يكتب لها (بارك) رسائل توسلًا لحبها ولكنها تريني إياها جميعًا، وكأنه يكتب لي الرسائل الغرامية".

اختفت تمامًا رغبتي في مقابلة تلك المرأة، ولكن بعد قليل عادت مرة ثانية تلك الرغبة.

"في الربيع الماضي، اصطحبتها مرة إلى المعبد البوذي، حاولت أن أفعل معها أي شيء ولكن تلك اللئيمة أصرت على عدم القيام بأي شيء قبل الزواج".

"وماذا فعلت؟".

"انتهى بي الأمر محرجًا جدًّا". وشعرت أنا بالامتنان لتلك المرأة.

في الوقت المتفق عليه بيننا، ذهبت إلى المكان حيث قررنا اللقاء، ناحية السد المترامية أطرافه حتى البحر والذي يبعد قليلًا

عن البلدة. ظهرت مظلة صفراء على مرمى البصر، كانت هي. تمشينا جنبًا إلى جنب تحت السماء الملبدة بالغيوم.

"لقد سألت اليوم الأستاذ (بارك) عنك أسئلة كثيرة".

"فعلًا؟".

"ترى، في رأيك، ماذا كان أهم سؤال سألته؟" ولم يكن عندي أدنى فكرة.

ظلت المرأة تضحك بصوت مكتوم لبرهة ثم قالت: "سألت عن فصيلة دمك".

"فصيلة دمي؟".

"لدي معتقد غريب حول فصائل الدم، أتمنى لو أن شخصيات البشر تطابق فصائل دمائهم، ألا توجد جميعها في كتاب الأحياء؟ عندها سيكون هناك عدد من الشخصيات يمكن حصره على أصابع اليد".

"كيف تعتبرين هذا معتقدًا؟ إنها محض أمنية".

"أنا شخصية أومن بما أتمنى كما هو".

"وما فصيلة الدم لشخصيتك تلك؟".

"فصيلة دم تدعى (الحمقاء)" خرجت ضحكاتنا بصعوبة في الهواء الساخن والرطب. اختلست نظرة نحو وجهها، كانت قد

توقفت عن الابتسام ناظرة أمامها مباشرة بعينيها الكبيرتين، وقطرة عرق تعلو أرنبة أنفها، كانت تتبعني كطفل صغير، أخذت يدها في راحة يدي، بدا وكأنها تفاجأت، فتركت يدها مسرعًا، وبعد لحظات أمسكت يدها مرة ثانية، لم تتفاجأ هذه المرة، كان الهواء الخفيف يتسرب بين راحتي يدينا المتشابكتين.

"ماذا ستفعلين في سيئول بلا أي خطة؟" سألتها.

"لدي (أوبا) لطيف هكذا لا بد أنه سيفعل شيئًا من أجلي". قالت بابتسامة عريضة وهي تنظر إلي.

"سيكون هناك الكثير من الملائمين للزواج.. ولكن أليس من الأفضل الذهاب إلى بلدتك بدلًا من الذهاب إلى سيئول؟".

"هنا أفضل من بلدتي".

"إذًا ماذا عن البقاء هنا...".

"أوه يا أستاذ، يبدو أنك لن تأخذني معك في نهاية المطاف". طرحت يدي ووجهها موشك على البكاء.

في الحقيقة لم يكن بإمكاني فهم نفسي جيدًا، وقد تخطيت المرحلة التى يواجه بها الإنسان العالم بالعاطفة والشفقة، وفي الواقع مثل ما ذكر (جو) منذ بضع ساعات أنني وبالرغم من أنني لم أتمنَّ الزواج من "أرملة غنية ذات علاقات قوية" ولكنني في النهاية أشعر بأن هذا كان خيرًا لي. وكنت أكن حبًّا تجاه زوجتي

يختلف عن ذلك الحب الذي شعرت به تجاه تلك المرأة التي هربت مني، وبالرغم من ذلك أمسكت يد المرأة التي جاءت جانبي مرة أخرى بينما أنا أمشي على السد الممتد باتجاه البحر تحت السماء الملأى بالغيوم.

شرحت لها عن المنزل الذي كنا في الطريق لزيارته، في سنة ما، استأجرت غرفة في هذا المنزل لكي أنقي رئتيّ الملوثتين. حينها كانت أمي قد فارقت الحياة، سنة كاملة عشتها بمجاورة هذا الشاطئ، بكل الخطابات التي كتبتها في تلك الفترة من السهل أن يجد الناس كلمة "الوحشة"، إلى حد ما هي كلمة ضئيلة وحاليًا أصبحت ككلمة مندثرة فقدت أغلبية قدرتها على لمس القلوب ولكن بالنسبة لي في تلك الفترة، ظننت كأنه لا وجود لكلمات أخرى غير تلك الكلمة لاستعمالها.

السأم الذي شعرته وأنا أتمشي على الرمال البيضاء صباحًا، والفراغ الذي ملأني وأنا أمسح بكف يدي العرق البارد المنهمر على جبيني بعد الاستيقاظ من قيلولة الظهيرة، والأسف الذي انتابني حين الإنصات إلى ذلك البكاء البائس لبحر الليل عندما استيقظ في عمق الليل من الكوابيس، ضاغطًا بيد واحدة على دقات قلبي المتسارعة العالي صوتها.

وقد أحكمت تلك المشاعر المتلاحمة قبضتها على حياتي كأصداف المحار القاسية المتشبثة بعضها ببعض، والتي استبدلتها، بما أفكر فيها الآن أنها كلمة مثل الوهم، كلمة "الوحشة".

في المدينة المتربة التي يصعب فيها حتى تخيل البحر ووسط مشاغل الحياة، هذا الذي استقبل خطابي، بعد أن ألقاه له رجل البريد بلا أي تعابير على وجهه، ورأى فيه كلمة "الوحشة"، هل كان بإمكانه أن يتخيل أو يشعر بشيء ما يا ترى؟ لنفترض أنني أرسلت هذا الخطاب من ساحل البحر واستقبلته بنفسي في المدينة، هل سيكون أنا الذي بالمدينة قادرًا على التجاوب مع الحالة النفسية التي كنت بها عند ساحل البحر لدرجة أنني أرضى بكل شيء علقت عليه تلك الكلمة، أو هل كان ذلك من الأهمية في شيء من الأساس؟

ولكن لأتحرى الدقة، حتى وقتها حين كنت أهم بالتوجه نحو المكتب لكتابة تلك الخطابات، كانت عندي نفس الشكوك والتساؤلات، وإن كانت حينها باهتة، والتي تتشابه مع تلك التي عندي الآن، ويبدو أنني كنت أعتقد حينها أن "لا" هي الإجابة، ولكنه ومع ذلك كتبت تلك الخطابات المتضمنة لكلمة "الوحشة"، وأحيانًا كنت أرسل، إلى كل حدب وصوب، بطاقات بريدية مرسومًا عليها رسمة بدائية للبحر بلون أزرق غامق.

"ترى من أول من كتب الخطاب؟" سألتها.

"آه خطاب، لا يوجد شيء مبهج في الحياة أكثر من تلقي خطاب. حقًّا، ترى من كان هذا الشخص؟ ربما كان وحيدًا مثلك يا أستاذ؟" تحركت يدها داخل يدي وشعرت وكأن تلك اليد هي من تخاطبني.

قلت لها: "ومثل (إن- سوك)".

"نعم". نظرنا إلى بعضنا وابتسمنا.

وصلنا إلى المنزل الذي كنا نقصده. بدا وكأن الزمن قد مر على الجميع ما عدا هذا البيت وأهله. تعامل معي صاحبا المنزل كشخصي القديم وبدوري عدت أنا إلى عهدي القديم. أخرجت الهدايا التي أحضرتها لهما وقدم لنا الزوجان صاحبا المنزل، الغرفة التي كنت أسكنها في السابق.

وفي تلك الغرفة انتزعت التوجس عن تلك الفتاة، انتزعته كمن ينتزع سكينًا من شخص يجري إليه حاملًا السكين في قنوط الواشك على أن يطعن به إن لم ينتزعه أحد من يده. لم تكن المرأة عذراء.

فتحنا الباب مرة أخرى وظللنا مستلقيين لوقت طويل ناظرين إلى أمواج البحر العاتية.

وبعد مدة قالت: "أريد أن أذهب إلى سيئول، هذا كل ما في الأمر".

كنت أرسم رسمة بلا معنى بإصبعي على وجنتها.

"يا ترى هل هناك طيبون في هذا العالم؟" قلت وأنا أشعل مرة أخرى السيجارة التي أطفأتها رياح البحر التي كانت تهب ناحية الغرفة.

”أنت توبخني، أليس كذلك؟ إذا لم يكن هناك قلب يسعى لرؤية طيبة الآخرين، فلا أحد طيب“. فكرت أننا بوذيان.

”وهل أنت يا أستاذ، شخص طيب؟“.

”طالما (إن- سوك) تصدق ذلك“. وفكرت مرة أخرى أننا بوذيان.

اقتربت مني المرأة وهي مستلقية ثم قالت: ”هلا نخرج إلى الشاطئ؟ حسنًا؟ سأغني لك“. ولكننا لم ننهض، ”فلنذهب إلى الشاطئ، الجو بالغرفة حار جدًّا“.

نهضنا ثم خرجنا من الغرفة. مشينا على الرمال البيضاء وجلسنا على صخرة حيث غابت البيوت عن أنظارنا. وكانت الأمواج تجلب زبد البحر الذي تخبئه بها وتلفظه تحت الصخرة حيث جلسنا.

نادتني المرأة: ”يا أستاذ“. أدرت برأسي نحوها.

”هل سبق وأن كرهت نفسك من قبل؟“ سألتني بصوت به إشراقة زائفة.

استحضرت من ذاكرتي وأومأت موافقًا قائلًا لها: ”ذات مرة أخبرني صديقي الذي كنت أنام بجواره أنني كنت أشخر أثناء نومي، حينها شعرت حقًّا أنه لا سبب لإكمالي الحياة“. قلت قولي هذا من أجل إضحاكها، ولكنها لم تضحك وهزت رأسها فقط في

هدوء. وبعد مدة طويلة تحدثت المرأة.

"أستاذ، لا أريد الذهاب إلى سيئول".

طلبت منها أن تعطيني يدها، وأمسكتها وقلت وأنا ممسك يدها بقوة: "دعينا نتفق ألا يكذب أحدنا على الآخر".

"هذه ليست كذبة". ردت بابتسامة عريضة. "سأغني لك "يوم جميل"".

"ولكن اليوم به غيوم". قلت وأنا أتخيل مقطع الفراق من أغنية "يوم جميل".

هيا نتفق على ألا يفترق الناس في الأيام الغائمة. إذا مددت يدك وأمسك بها أحدهم، فلتجذب هذا الشخص ناحيتك أقرب فأقرب فأكثر قربًا. كنت أريد أن أقول لتلك المرأة "أحبك"، ولكن غرابة كلمة "أحبك" طغت على اندفاعي.

عدنا من الشاطئ إلى البلدة بعد أن أسدل الليل ظلامه. وقبيل الدخول إلى البلدة قبلنا بعضنا بعضًا على السد.

وقالت لي حيث كنا نفترق: "ليكن في علمك أنني سوف أستمتع بعلاقة حب راقية لمدة أسبوع فقط فترة وجودك هنا يا أستاذ".

أجبتها: "ولكني أقوى منك لذا سوف تُسحبين على يدي إلى سيئول دون حيلة منك".

عندما عدت إلى المنزل اكتشفت أن (بارك) جاء لزيارتي نهارًا، وترك ثلاثة كتب قائلًا "لتقرأهم حتى لا تشعر بالملل خلال تواجدك في موجين"، وأخبرتني الخالة أنه قال إنه سيأتي مرة أخرى في المساء، أخبرتها، متحججًا بكوني مرهقًا، أنني لا أريد مقابلة أحد، فقالت الخالة إنها ستخبره أنني لم أعد بعد من الشاطئ.

كنت لا أرغب بالتفكير في أي شيء، ولا شيء، طلبت من الخالة شراء السوجو، وشربت حتى خلدت إلى النوم من ثمالتي. استيقظت لوهلة في الفجر. ظل قلبي يخفق دون أن أعرف لهذا سببًا، ولكنه كان القلق. همهمت (إن- سوك) ثم عدت بعد لحظات إلى النوم ثانية.

أنت الآن تغادر موجين

هزتني الخالة لتوقظني، ففتحت عيني. كان الوقت متأخرًا من الصباح، أعطتني الخالة تليغرافًا. فتحت التليغراف وأنا مستلقٍ على بطني.

"عليك حضور اجتماع يوم 27، عد فورًا إلى سيئول، يونغ".

كان "يوم 27" بعد غد، و"يونغ" هي زوجتي. وضعت جبهتي، التي كنت أشعر فيها بوخز لدرجة الألم، على الوسادة. كنت أتنفس بصعوبة. وحاولت أن أهدئ من حدة تنفسي. تليغراف

زوجتي أظهر أمامي بوضوح شيئًا فشيئًا كل أفعالي وأفكاري منذ أن جئت إلى (موجين). كان كل شيء بسبب الأحكام المسبقة. في النهاية تليغراف زوجتي أخبرني هكذا. أومأت برأسي رافضًا. كان تليغراف زوجتي يخبرني أن كل شيء بسبب تلك الحرية الممنوحة عادة للمسافرين. أومأت برأسي رافضًا. كان التليغراف يقول لي إن كل شيء يمكن له أن يمحى داخل قلبي بمرور الزمن. فقلت لكنه سيترك جرحًا، وأومأت برأسي رافضًا. تجادلنا طويلًا، فتوصلنا أنا والتليغراف إلى اتفاق معًا. لمرة واحدة، دعني لمرة أخيرة أعترف بـ(موجين) والضباب، الجنون من الوحدة، الأغاني الحديثة، انتحار امرأة الحانة، الخيانة، انعدام المسؤولية. فقط مرة واحدة وأخيرة، مرة واحدة فقط. وأتعهد بأنني بعدها سأعيش فقط داخل نطاق المسؤولية المحددة الملقاة على عاتقي. أيها التليغراف، أعطني إصبعك الخنصر. وأنا سألف إصبعي الخنصر حول إصبعك وأعاهدك. لقد تعاهدنا.

وبعدها استدرت لأكتب خطابًا متفاديًا بعيني التليغراف.

[لقد اضطررت للمغادرة بشكل مفاجئ، كنت أريد زيارتك وإخبارك قولًا بأنني سأسبقك ولكن الحوار دومًا ما يحب أن يأخذ منعطفًا آخر غير متوقع ولذا أخبرك كتابةً هكذا، سأكتبها ببساطة. أحبك. لأنك نفسي، أو على الأقل نفسي أيام الصبا التي أكن لها حبًّا حتى ولو كان حبًّا غامضًا. ومثل ما بذلت كل الجهد كي أسحب نفسي القديمة نحو نفسي الحالية، سأبذل قصارى

جهدي حتى أسحبك نحو نور الشمس. ثقي بي. وعندما أنتهي من تجهيزات قدومك إلى سيئول وأعطيك خبرًا بذلك، فلتتركي (موجين) ولتأتي إلي، ربما يمكننا أن نكون سعيدين].

بعد أن كتبت الخطاب، قرأته، وقرأته مرة ثانية. ثم مزقته.

وأنا جالس داخل الحافلة المنطلقة برجة قوية، رأيت لافتة بيضاء منصوبة في مكان ما على جانب الطريق. وعليها بخط أسود واضح "أنت الآن تغادر بلدة موجين. صحبتك السلامة." وشعرت حينها بخزي شديد.

***

السكير

تشوي إن هو

تطفل رأس صبي صغير إلى داخل الحانة.

"عمتم مساء".

أبدى الصبي أنه يعرف السكارى الجالسين بجوار البوابة. لم ينتبه إليه معظمهم، ومن حسن حظه أن أحدهم تمكن من رؤيته.

"انظروا، انظروا يا رفاق، انظروا إلى هذا الصبي".

وبهذه الجملة أضاف من اكتشفه موضوعًا غنيًّا للحوار على أطباق المزة التي كانت قد شارفت على الانتهاء.

وكانت الحرارة قد تعالت، مع نيران الفحم المتقدة، لتصل حتى لعقول السكارى الغارقين في الثمالة من السوجو[7] الرديء، لذا كان من الصعب أن يدركوا ماهية الصبي الذي دخل مع برودة الشتاء القارس من فجوة الباب المفتوح.

"من هذا الصبي؟".

ثبّت نحو أربعة أو خمسة أشخاص أنظارهم نحو ذلك الصبي الرث بعيونهم الثملة، وما إن التفت انتباه الجميع تجاهه، ارتبك كصغير تم كشفه وهو يقلب في سلة المهملات، ثم همّ بالتراجع مع حركات غريبة ملتفتًا لنظرات الآخرين.

كان ذلك الصبي دميم الخلقة للغاية. رأسه بدا فوضويًّا كلوحة

7- شراب خمر كوري تقليدي.

ملصقات جراء ندبات سعفة الرأس. ويده الصغيرة، التي برزت من كم ذي طراز صيني، كانت مشحمة غارقة في الوسخ كخرطوش مصقول بعناية.

"يا صبي، هلا شربنا كأسًا؟".

قالها أول من لمح الصبي مغريًا إياه حاملًا زجاجة خمر.

"لا أريد".

فجأة صرخ الصبي بقوة وكأنه سينفجر بالبكاء.

"جئت لأخذ أبي".

"أعرف أيها الصبي".

ظل ذلك الرجل يبادله الحوار.

"أعرف أنك جئت لكي تصطحب والدك. نحن نعرف كل شيء. هاهاها. الكبار أمثالنا يعرفون كل شيء بوضوح، أليس كذلك يا رفاق؟".

هز الرجل كتفيه طالبًا موافقة رفقائه الذين أخذوا يبدون اهتمامهم رويدًا بالصبي الغريب، حينها أخذ أحدهم يجاريه في الكلام مقهقهًا قهقهة فنان هزلي خائب محتال.

"طبعًا، عندما تصير في مثل عمرنا فلا يوجد ما تجهله، يا صبي، هل تعرف لماذا تدور الأرض؟".

"لا أعرف".

"إنها تدور لنشرب الخمر، فلتتذكر هذا جيدًا يا صبي، الأرض تدور لكي نشرب الخمر، أفهمت؟".

"نعم".

"هلا أعلمك شيئًا آخر أيها النابغة الصغير" قالها الرجل الذي رآه في البداية، وهو يترنح مدليًا بنظره ناحية الصبي.

"هل تعرف لماذا يرفع الكلب رجلًا واحدة أثناء التبول؟".

"نعم أعرف هذا". ضحك الصبي في خنوع. "لأنه إذا رفع رجليه الاثنتين سيقع".

"صحيح، حقًّا أنت عبقري صغير، لا تنسَ ما أعلمك إياه لمرة واحدة".

"ماذا يعمل والدك؟".

سأله غريب آخر وهو يقطع الفطائر المقلية "البيندیه توك"[8] بعيدان الطعام.

"يدعى (كوك سونغ- هيون)، (كوك سونغ- هيون)".

وفجأة أخذ وجه الصبي يفيض بالمشاعر كصفحة من موسوعة، وكانت حركته تشبه دمى الجنود المتقدمة نحو الأمام.

8- فطائر كورية تقليدية مصنوعة من بقلة الماش/ المونج (اللوبيا الذهبية).

”من المرجح أنك تعرفه، لديه بثرة كبيرة فوق عينه، وفاحت من جسده دومًا رائحة البصل، وكان يتجول باستمرار والثوم في جيبه الخلفي. وسمعت أنه كان دائمًا ما يبكي عندما يشرب الخمر..“.

قاطعه الرجل ذو الشعر المصبوغ مرتديًا الزي العسكري الأمريكي والذي كان يفرغ كأسه بهدوء قائلًا: ”لماذا تبحث عن أبيك؟“.

”آه..آه“.

ولوهلة نظر الصبي نحو الفراغ بتعابير وجه درامية قائلًا: ”إن أمي تحتضر“.

وفي لحظة كان الصبي قد تسلل إلى داخل الحانة الدافئ هوائها. وفوق وجهه القبيح للغاية، أُنير مصباح بقوة 30 وات قام بدور الإضاءة الكافية للمشهد، وملأ الدخان العطن، المتصاعد من شَيّ السمك على نيران الفحم، أرجاء المكان صابغًا إياه باللون الأبيض وكأنه قد انفجرت به قنبلة دخانية.

”لقد رأيتها تتقيأ دمًا منذ قليل فخرجت راكضًا. وقد أخبرني أبي أنه سيكون هنا في هذه الحانة ينهل الخمر، وقال لي أن آتي هنا إن كانت أمي تحتضر“.

”أبوك...“.

قال الرجل الذي اكتشف الصبي في بادئ الأمر وهو يشعل عقب السيجارة ويضحك ضحكة جوفاء.

"لقد ذهب، نعم، قد قلت لك إنه رحل من هنا".

"رحل؟ هل قال إلى أين ذهب؟".

"أقال..عندما تأتي نرسلك إلى حانة "بيونغ يانغ" تلك...؟".

بدا شكل جسد الصبي حيويًّا ودقيقًا مثل قطع غيار ساعة سويسرية. ومن الغريب أن شعار US ARMY كان يلمع على صدره وكأنه شارة عسكرية، كما لمع وجهه بلون القطيفة. وبدا غير طبيعي في طبقات الملابس التي ارتداها بعضها فوق بعض حتى صار مثل حشرة من القشريات.

"سأذهب إلى حانة بيه- يانغ".

تردد الصبي قليلًا، وللحظة لاح على وجهه ما يشبه الوحدة الكئيبة التي كثيرًا ما تبدوعلى سكير أفرغ آخر كأس له ويهم بترك الحانة، ولذا قال له الرجل الذي ناداه في البداية وهو يصب السوجو في كأس فارغة بينما يناوله إياه.

"اشرب كأسًا واحدة ثم اذهب أيها العبقري الصغير".

"لن أشرب، يجب أن أبحث عن أبي".

"ربما يكون والدك قد غادر تلك الحانة إلى حانة أخرى، أليس

كذلك؟".

"ومع ذلك يمكنني أن أجده، سأبحث عنه طوال الليل".

"وحتى إن تركت أمك تموت أثناء ذلك؟".

"إذا وجدت أبي سيصبح كل شيء على ما يرام. إن أبي مختلف عنكم، ورغم أن والدي سكير إلا أنه وبمجرد أن يقرر فعل أمر ما، فلا يستعصي عليه شيء. آه، سمعت أنه حول النحاس إلى ذهب، ذهب".

وفي غفلة انزلقت يد الصبي خلسة من الكم ذي الطراز الصيني مثل دودة خرجت من شرنقتها واستولى على الكأس بخفة يد نشالي السوق، رفعها إلى فمه ثم أنزلها فارغة بسرعة، وقد كانت الكأس ممتلئة عن آخرها إلا أنه أنهاها بالكامل بخفة يد السحرة دون أن يسيل منه ولو حتى قطرة واحدة، ابتلعه كله. وربما بسبب إحساس الاكتفاء من امتلاء فمه الصغير، التقط الصبي قطعة من الفجل المخلل بتعابير تنم عن الرضا.

"هلا تدخن سيجارة أيضًا؟".

"من فضلك لا تستهزئ بي".

عدل الصبي ياقة سترته للحظة ثم أحنى ظهره، بدا رشيقًا وخفيفًا كعداء مسافات قصيرة محنك شد ظهره محكمًا بمادة لدنة كالألياف استعدادًا للانطلاق في لمح البصر.

”من فضلك لا تنسَ، اسم والدي، أعني (كوك سونغ هيون). ولكن إذا قابلته في حانة لاحقًا، لا تبلغه أنني شربت الخمر، حتمًا!“.

ودعه السكارى المأخوذون به بنظراتهم فقط وهم شاردون في خدر. مر للحظة الهواء البارد الموحش كظلال الفجر على وجه ذلك الصبي. وفي ذلك الوقت بدأ السكارى يمعنون في سكرهم فأخذ واحد تلو الآخر يلعنون منازلهم، وزوجاتهم، والابن البكري والابن الثاني، ويلعنون المعيشة، ويلعنون الأمل نحو المستقبل، يلعنون رواتبهم الحقيرة، يلعنون البقاء على قيد الحياة برمته، كما يلعنون أنفسهم أيضًا.

كانت رياح الشتاء الباردة تهب وتتطاير معها صفحات الجرائد في زقاق السوق، وكغبار الرمال الذي يتدحرج في الصحراء، لفحت رياح الشتاء وجه الصبي كليًّا. كان الصبي يسير داسًّا يديه في جيبيه، متمتمًا بكلام ما.

منذ غروب الشمس كان الصبي قد مر على 5 حانات بالفعل، وبفضل ذلك تمكن من شرب 7 أقداح من الخمر على الأقل. وقد شرب خلالها أنواعًا عدة من الخمر. أفرغ في جوفه السوجو الرديء، والماكولي العكر[9] والخمر المصفى، وبرغم أن تلك الكمية تكفي لأن يتصاعد الدفء الخاوي إلى حلقه، وتغادر الحياة رأسه إلى مكان آخر، غير أن الصبي لم يكتفِ وكأنه ما زال

9- الماكولي: شراب خمر كوري تقليدي من الأرز.

في حالة خواء ولا يزال في وسعه أن يشرب خمسة أو ستة أقداح أخرى حتى يجد والده.

كانت الرياح الباردة تعصف بشدة في السوق من أوله إلى آخره، والشتاء يقهقه في كل الأركان، وفي السماء ينير ضوء مصباح الطريق جليًّا، وماءت هرّة من مكان ما، وفي السوق المغلق تتهاوى السقيفة المتهالكة بفعل الرياح فتدغدغ وجه الصبي كالشبح، وبفضل حالة السكر التي كان فيها، بدأ الخمر يشتعل ليتوقد جسد الصبي الصغير كمدفئة كهربائية يعمل مفتاحها بكفاءة.

"آه، آه، يا لهذا الرأس اللعين".

وفي تلك اللحظة أحس الصبي أن رأسه شديد الثقل مقارنة بجسده. وشعر فجأة بالظلم من حقيقة أنه عليه أن يحمل دائمًا ذلك الرأس الذي لا يطيق حمله.

كانت حانة "بيونغ يانغ" تقبع في نهاية السوق، ومنها تشع إضاءة عذبة على طريق السوق الخاوي. كتم الصبي أنفاسه وبدأ ينظر عبر الزجاج ليرى إن كان هناك أوجه غريبة أم لا. إن لم يكن هناك أوجه مألوفة فإنه لن يستطع تناول المزيد من الشراب ولن يتمكن من لقاء والده.

ولحسن الحظ رأى شخصين مألوفين له جالسين يشربان الخمر. أنزل الصبي أطراف أصابعه التي كان يقف عليها، وبدأ

في لعن نفسه لبعض الوقت في العراء حيث تهب الرياح.

(يا لهذا الخمر اللعين)

وكأي سكير معتاد ومتمرس عندما يجد الفرصة ويعزم أن يحجّم شرب الخمر، ثم فجأة يصبح مرتبكًا ويبدو طاعنًا في السن، اجتاح الكدر وجه الصبي الصغير في حالة لحظية من القنوط والحزن والأسى. ولكن بريق الكاسات الزجاجية الشفافة فوق الطاولات عبر نافذة الحانة، ووصول أصوات قهقهة السكارى، الذين يمزحون في صخب، إلى مسامع الصبي، غيرا من ملامح وجه الصبي القبيح بشكل يدعو للتعجب. وبملامح حازمة كالسجين الأواب، أمسك الصبي باب الحانة ببطء. كان مقبضًا مألوفًا ليده.

"عمتم مساء".

ألقى الصبي التحية وهو يزج فقط برأسه أولًا ويرمق المكان بنظرة خفية. ولكن لم يلتفت إليه أحد، فقط الساقية هي من نظرت نحوه.

"يا فتى، لقد ذهب أبوك".

"...".

"قد ذهب إلى بيت الأرملة".

تطلع إليها الصبي بارتباك.

"كما أقول لك يا فتى".

وحينها اكتشف السكارى الجالسون بالداخل وجود ذلك الصبي. قهقه الرجل ذو السوالف ملء فمه. كان دومًا ما يضحك إذا ما ثمل، حتى وهو يقص قصة وفاة زوجته أثناء الهروب من الحرب بعد أن أصابتها رصاصة ثقبت بطنها ثقبًا يمرر الهواء، كان يضحك، وحتى وهو يحكي أنه ليس أمامه حاليًا سوى أن يعيش وحده، كان يضحك، وهو يقول إنه سينتحر قبل أن يتم عامه الخمسين، كان يضحك. بدا وكأن هذا الرجل لا يعرف شيئًا سوى الضحك.

كان ذلك الرجل يكسب قوته من الاختباء في المحطة لسرقة قوالب الفحم وتهريبها، وفي إحدى المرات حتى عندما اكتشفه المفتش وأعاد ترتيب وجهه من شدة الضرب، ظل يقهقه وهو يشرب الخمر قائلًا إنه إن تورم فمه فسيشرب الخمر من أنفه. كان شخصًا استثنائيًّا بغرابة، كأنه أبله بعض الشيء، ولا يعبأ بملابسه التي بدت مهلهلة وهي تلتف بعشوائية حول جسده. على أي حال، كان اكتشافهما وجود الصبي، قبل أن يتماديا في السُّكر ولا يتمكنا من تمييز وجهه، بمثابة معروف كبير بالنسبة للصبي.

"يا رفاق، عندما أرى صبيًّا في مثل حجمه هاهاها أتذكر ابني المتوفى هاهاها، كان في مثل هذا الحجم بالظبط هاهاها، كان فطنًا يشبهني في ذكائه ووسامته هاهاها، أعني أنه كان جديرًا بأن يصبح ذا شأن عندما يكبر هاهاها".

ومقارنة بهذا الرجل كان يوجد رجل آخر مختلف عنه كل الاختلاف. إذا ما سكر من الخمر صمت تمامًا كالأبكم، الرجل ذو الوشم الأسود المبرقش والذي يظهر على ساعده من تحت كم قميصه المرفوع، كان جالسًا لا يحرك ساكنًا دون أن ينطق ببنت شفة ومن كل حين لآخر كان يرمي بسكينه. رأى الصبي ابتسامة هذا الرجل مرة واحدة فقط، حين فتح الصبي باب حانة "بيونغ يانغ" وألقى تحيته "عمتم مساء"، وفي لحظة كان شيء ما يقطع الهواء كقشر سمك سريع ويتخطى وجهه ثم رآه عالقًا في عضادة الباب بمسافة تبعد أقل من شبر عن رأسه. كان ذلك الشيء هو سكين الرجل، الذات الأخرى ليده اليمنى التي فقدها في الحرب.

"انظر، أيها الصبي" صرخ الرجل من حيث ما كان جالسًا "انظر إلى يدي اليمنى كم هي حادة ومباغتة" ثم ابتسم ابتسامة غريبة تسيل منها رغاوٍ. وكانت هي تلك الابتسامة.

كان عمله عبارة عن نحت الدمى الخشبية. وقد رأى الصبي هذا الرجل من قبل وهو ينحت دمى على شكل جنود بيده اليسرى فقط.

أثناء قيظ الصيف الماضي في ظهيرة أحد الأيام وبينما كانت أشعة الشمس اللاسعة تتأجج خارج الجحر الطيني المغطى بالسقيفة، كان الرجل جالسًا وهو عارٍ ينحت الدمى، وفجأة أخذ سكينه وصوبها ناحية الحائط الخشبي البعيد. ولا يزال الصبي يتذكر بوضوح الصوت المعدني للسكين وهي تومض محلقة باتجاه العضو الذكري للرجل المرسوم بطفولية أو باتجاه قلبه،

والدوي الجاف والصلب للسكين وهي تقطع الهواء مخترقة الحائط الخشبي، وأشعة شمس وسط النهار الحارة التي رآها من فرجة الباب منصبة على الأرض كالزيت الثقيل، وذلك الصيف حيث روائح العرق المثيرة للجنون، والتي جعلته يشعر بالاختناق بعض الشيء، وحيث تأجج شعوره بعدائية مبهمة.

ولكن وبالرغم من أن ذلك الرجل تحدث إلى الصبي حينها بصوت خافت ودود قائلًا له "يا صغير، هلا تنزع تلك السكين وتحضرها"، إلا أن الصبي كان يعرف تمامًا أن ذلك الرجل لا يحبه. فكلما نظر إلى الصبي لاحت من عينيه نظرة ازدراء سافرة.

وقبل فترة، عندما كان الصبي يمر بالطريق، أبرز الرجل رأسه من مكان عمله وأغواه بصوت منخفض حاملًا زجاجة الخمر في يده بينما هو بالفعل غارق في ثمالته.

"يا ولد، ألن نشرب كأسًا سويًّا؟ كأسًا نتعافى به من آثار الثمالة".

وما إن دخل الصبي غير مبالٍ إلى الجحر الطيني المغطى بالسقيفة مبتسمًا بلطف دون حذر، حتى بدأت فجأة يد الرجل اليسرى، المتبقية في ذراعه الوحيدة، تخنق رقبة الصبي، وبينما ظلت اليد تخنق رقبة الصبي بقوة مروعة، قضمها الصبي بأسنانه بكل ما أوتي من قوة، ثم انتهز فرصة ارتخاء يده وهرب راكضًا إلى الشارع الرئيسي. حينها كان الصبي يبكي كالأبله دون أن

يشعر بنفسه. وبعدها لم يتصادفا لفترة في حانة، وكان اليوم هو أول يوم يلتقيا فيه بعد هذا الحادث.

"لقد جئت للبحث عن أبي".

خرج صوته خافتًا وهو غير ناظر ناحية ذي الذراع الوحيدة متخطيًا إياه محدثًا ذا السوالف.

"رأيته هاهاها رأيته قبل قليل. وهل تحسب أن هذا كل شيء؟ هاهاها شربت معه الخمر أيضًا هاهاها".

"أمي، أمي..". قال الصبي بصوت مختنق ملوحًا بيده. "إنها تحتضر، رأيتها تتقيأ دمًا فخرجت مباشرة".

اقترب الصبي بتردد ناحية الطاولة، وعيناه الصغيرتان الطويلتان محتقنتان بالدماء جراء السخونة المتدفقة من الثمالة، وقد بدأ المخاط يتجمع في عينيه. وعلى الطاولة، كان السوجو الرديء الشفاف موضوعًا. والزجاجة كانت سدادتها قد فُتحت للتو ومملوءة عن آخرها.

كان الصبي يعرف طعم ذلك السوجو ويعرف تمامًا كيف ستصبح حالته بعد أن يشرب كأسًا أخرى من الآن، وعلى دراية تامة بأنه كلما بللت كأس واحدة من ذلك السوجو الرديء فمه النهم في رغد، أصبحت حياته أكثر كثافة.

جلس الصبي على طرف الدكة الطويلة. وكان ذو السوالف يتثاءب ملء فمه وهو يتمطى.

”لن تتمكن من إيجاد أبيك الليلة“.

”سأجده“ قرر الفتى بحزم. ”حتمًا سأجده“.

”هاهاها حسنًا، وإذا لم تجده اليوم يمكنك أن تجده غدًا، أليس كذلك؟“.

”لا، يجب أن أجده خلال اليوم. إن أمي تحتضر. فقد رأيتها حالًا تتقيأ دمًا فخرجت فورًا راكضًا. بعد أن تقيأت دمًا أحمر قاتمًا من فمها، طلبت مني بصوت خافت وهي مستلقية أن أبحث عن أبي وأحضره معي. فقط إن وجدت أبي فإن أمي يمكنها أن تتعافى“.

استغل الصبي الفرصة الأنسب ورفع كأس الخمر عن الطاولة غير عابئ بأحد، ثم أفرغها في فمه بخفة.

”إن أبي سكير ولكنه مختلف عنكم أيها الرجال، آه لقد صنع من النحاس ذهبًا، أقول لكم ذهبًا“.

حرر هذه الكأس من الخمر الصبي. وكآخر خمر يُشرب عند الفراق، أطربته هذه الكأس، أمسك الصبي عيدان الطعام وبدأ في الغناء وهو ينقر على الطاولة.

كان يا مكان في قديم الزمان رجل عنده ابنة حسناء
فوق سفح التل عند ضفة القرية، وضع إعلانًا
من يمكنه أن يصبح زوج ابنة يجيد شرب الخمر والغناء

فليتفضل ويدعني أضع له امتحانًا.

بتعابير وجه لم يعلُها غير القليل من الاندهاش، ضحك ذو السوالف بلا صوت داخل لحيته كخروف يلوك الورق، بينما كان الرجل الآخر يحدق فقط في سقف الحانة بعينيه اللتين تشبهان عيني السمكة. وبدا وكأنه سيظل جالسًا هكذا، حتى لأيام، إذا لم يقاطعه أحد. انتظر الفتى الفرصة السانحة ومد يده وأمسك بزجاجة الخمر ثم صب الخمر مرة أخرى.

"إن أبي كان يبكي إذا ما شرب الخمر".

لم يستمع أحد إلى كلامه. وحتى ذو السوالف لم يعد يضحك الآن. ماءت هرة ليل في مكان ما، وانسدل عليهم الإجهاد والحزن بثقل من السقف. أمسك الصبي الكأس التي صبها لنفسه وأخذ يلحس منها بطرف لسانه رويدًا رويدًا في حذر منتبهًا إلى نظرات الآخرين له. كانت ساقية الحانة تنظر إلى هذه الناحية أحيانًا وهي تدخن سيجارتها، وتتفحص الجمع العجيب المكون من ثلاثتهم. وقد صار الصبي الآن أحمر كالجزر وبدأ يشهق من الحازوقة.

"عندي لكم فزورة مضحكة. هل تعرفان لماذا يرفع الكلب رجلًا واحدة حين يتبول؟".

"لا نعرف".

"لأنه إن رفع رجليه الاثنتين فسيقع..". ثم شهق.

والآن كان الخمر قد أثمل جسد الصبي بالكامل، وظل الصبي يراقب، في حالة من الرضا الزائد، ألاعيب الخمر. بدأ كل شيء يمر من أمام عينيه. أمسك مرة أخرى بعيدان الطعام وأخذ يغني أغنية رديئة وهو ينقر على الطاولة.

في إحدى الليالي المقمرة زارنا الشاب الأصلع

من الجيد الاستماع إلى عزفك على الـ(هيه- كم)[10]

ولكنك بشع المظهر لا أطيق لك منظر.

على الرغم من أن الصبي الصغير، الذي يشرب الخمر وينقر على الطاولة في ركن من الحانة التي شارفت على الإغلاق، كان ذا بنية جسمانية صغيرة، إلا أن حركات جسده واحدة تلو الأخرى كانت ماهرة، وتشع منه هالة استثنائية غريبة وكأنه سيؤدي كل ما عليه حتى النهاية.

أنهى الصبي غناءه ثم طرح لسانه باستطالة في هدوء وبدأ في إطفاء شعلة السيجارة. انطفت شعلة السيجارة اللاسعة على لسانه مصدرة صوتًا حادًّا، وبدا الصبي وكأنه فتى من فتيان السيرك يقوم بألاعيبه السحرية.

وفي تلك اللحظة، فجأة انتفض الرجل، كأنه استيقظ من سباته،

10- آلة موسيقية كورية تقليدية تشبه الربابة.

وأخرج السكين، وفي لمح البصر كانت تلك السكين مصوبة ناحية رقبة الصبي. تبلم الصبي شاخصًا ببصره نحو الرجل. كانت عينا الرجل تلمعان بشكل سقيم وتحت شفتيه الملتفة لأعلى تلوح ابتسامة بيضاء بلا دلالة.

"أنت أيها السكير الوضيع". صرخ عليه الرجل. "سأذبحك برحمة".

حاول الصبي أن يقول شيئًا متحديًا إياه غير أنه أدرك أن تحريكه للسانه الآن بلا فائدة.

"لا تتحرك، أيها الصغير".

كانت السكين اللامعة في يده اليسرى تستهدف عنق ذلك الصبي، وبدأ الصبي يشعر بألم خفيف بالقرب من عنقه ثم سمع تأوهات الحياة الهادئة.

(يا لها من رقبة لعينة).

ارتفعت يد الرجل بشدة كمدرس التربية الرياضية حين يعلن إشارة البدء، وتطايرت شرارات من نصل سكينه التي في قبضة يده كعصفور صغير، وفي لمح البصر نزلت السكين قاطعة الفراغ طوليًّا، ومع صوت احتكاكها الخافت بالهواء، رأى الصبي وميضًا لحظيًّا يبرق في يد الرجل كالذي يحدث عند احتكاك حجر الصوان. وبعدها رأى الصبي ذلك الرجل وهو ينكفئ على وجهه أمام الطاولة بعد أن طعن صدره بيده. فر الصبي من الحانة مسرعًا كالرصاصة.

(يا له من غبي أحمق).

كان الشارع مظلمًا والرياح تهب في الأركان كافة، والسماء تجلت بلون رصاصي. وذلك البرد الذي اعتاده الصبي كل الاعتياد، فقد لزمه أن يتغلب على هذا البرد في أي مكان وزمان.

كانت شوارع السوق قد فرغت تمامًا، ومن تحت أنفه يتسرب دخان أبيض كبخار الماء ثم يذوب في الظلام ويختفي. لم تتوقف الحازوقة بعد، وهو، ولحسن حظه، لم يمت بعد.

وكان قد شرب الخمر أكثر من أي وقت مضى بيد أنه لم يبالغ في شربه. التصق أمام حائط بارد وبدأ يفك أزراره. كان مرتديًا طبقات من الملابس فوق بعضها قدر المستطاع، لذا كان من الصعب عليه أن يصل إلى جهاز تدفئته، وبدأ في الغناء بصوته الضعيف المنخفض أثناء ما كان يتبول.

في إحدى الليالي المقمرة زارنا الشاب الأصلع

من الجيد الاستماع إلى عزفك على الـ"هيه- كم"

ولكنك بشع المظهر لا أطيق لك منظر.

كان يعرف بالظبط مكان وجهته، ومهما كان ثملًا، لم ينس قط مساره.

(أمي تموت ولكن ترى ماذا يفعل أبي؟)..

حملق الفتى في السماء التي تخضبت بلون أسود. لم يكن لدى الفتى أي أمل في إيجاد والده، ولكنه لم يتمكن من أن يتخلى عن المعقل الأخير.

بدأ الفتى يترنح في مشيته، وفي آخر شارع السوق كان هناك سكير وضيع نائم ملقيًا بجسده على أرض الشارع، تحرك الصبي ناحيته ببطء وتفحص وجهه. ثم بدأ في تفتيش جيوب ذلك الرجل. استمر الصبي في فعله بأريحية حيث اعتقد أن ذلك الرجل سيتجمد من البرد قبل وضوح النهار. كان جيباه فارغين. أخرج من جيبه الأيسر عددًا من أعقاب سجائر وبقايا من سمك البلوق المجفف ومن جيبه الأيمن أخرج تذكرتين للترام فقط لا غير.

بدأ الصبي هذه المرة في تفتيش الجيب الداخلي، وعندما أحس الصبي ملمس أوراق مالية بأنامله، أخرج ورقتين ماليتين بأنفاس متلاهثة. ثم أخذ في المشي مرة أخرى حاملًا إياهما في يده. وبدأ قلبه يخفق من فرط الحماس لكونه سيتمكن من شرب المزيد من الخمر. كان يعرف أنه يمكنه شرب نحو كأسين إضافيتين من السوجو الرديء بهاتين الورقتين. وكان يعلم أيضًا ماذا سيفعل به كأسا السوجو الرديء اللتان سيشربهما وحده بشرف ودون تذلل. ويعرف أنهما ودون أي ألم، سيخرجان له جناحين من جانبيه يجعلانه خفيفًا كطائر.

كان الصبي يعرف حانة تفتح أبوابها لوقت متأخر، ولكن مهما كانت تفتح لوقت متأخر فقد قرب الآن موعد إغلاقها، لذا بدأ الصبي بالركض. تردد صوت خطوات الفتى في أرجاء الأرض المتجمدة. كانت الحانة التي يتطلع إليها قد أغلقت أبوابها بالفعل.

حبس الصبي صوت أنفاسه كالهرة أمام بوابة الحانة المطفأة أنوارها، وهو يشم رائحة الخمر المتسربة من فرجة الباب. كانت الرياح تجعل شعره يتطاير وقد انطوى حانيًا ظهره. وفكر للحظة فيما سيفعل ثم كأنه عزم أمره، بدأ في النقر على النافذة الزجاجية. أصدرت النافذة صوت انكسار ألواح الثلج. وكان الصقيع الأبيض متفتحًا بشكل نقشة ورود على النافذة. أخذ الصبي ينقر على النافذة لوقت ثم ينصت، يطرق ثانية وينصت، وكلما وضع أذنه على النافذة كان يصل إلى مسامعه صوت الرياح الباردة تهب في مكان بعيد للغاية. وبعد مدة طويلة ظهرت بوادر وجود بشر بالداخل وأخيرًا اقترب أحدهم أمام النافذة. بدأ الشخص الذي بالداخل بكشط الصقيع، وبعدها بقليل انفتح ثقب بحجم العملة المعدنية واقتربت عين أحدهم من الثقب محملقة.

"عمتم مساء".

ألقى الفتى التحية بأدب جم. وبعدها انفتحت النافذة الورقية وظهرت الساقية بشعرها الأشعث.

"ليس موجودًا، قلت لك إن أباك ليس هنا".

"أعرف". كان الصبى يفرك يديه ببعضهما من البرد. "طبعًا أعرف ذلك".

"لذا لِم تقف هكذا ولا تخلد للنوم؟".

"لا أحتاج لأبي الآن".

أقر الفتى باختصار ولكن بوضوح. وحرك عضلات وجهه فالتوت كأنه البكاء. وأصدر صوتًا مختنقًا كالإوزة التي تصيح ناحية شمس الغروب.

"أيتها السيدة، الخمر، جئت لأشرب الخمر".

وتوسل إليها بنظراته كأنه يرجو أن تصدق كلامه.

"..... هل جن هذا الفتى؟".

"سأشرب كأسين فقط، لدي المال أيضًا".

وأظهر الفتى ورقتي العملة أمام المرأة ليريها إياهما.

"أريد أن أثمل حقًّا. أنا أعرف جيدًا المقدار الذي يمكنني تحمله، فقط كأسان، لو شربت كأسين إضافيتين فقط سأستطيع النوم نومة هادئة دون أحلام. أما إذا توقفت الآن عن الشرب فإنه أسوأ من عدم الشرب مطلقًا، ولن أتمكن من النوم".

ابتسم الصبي ابتسامة صافية وانعكست بزاوية حفنة وحيدة من شعاع ضوء المطبخ على وجهه. بدا على وجه المرأة وكأنها تفكر لبرهة ثم فتحت له الباب في حركة فجائية كثيرًا ما تصدر عن أولئك النساء. دخل الصبي مترنحًا إلى الحانة ومشت المرأة نحو المطبخ وهي تتثاءب ثم أحضرت زجاجة الخمر.

ارتمى الصبي جالسًا على الطاولة الباردة. حملت المرأة زجاجة الخمر وصبت له. وضع الصبي أمامه كأس السوجو الرديء الذي تفوح منه رائحة الجاز، ونظم أنفاسه لبرهة. بدت هيئة الفتى

مهيبة نوعًا ما وهو جالس وجهًا لوجه أمام كأس الخمر في الإضاءة الخافتة، وكلما رفع يده متناولًا كأس الخمر وهو جالس باحترام، كانت الإضاءة تنتشر بلون أبيض مثل حرشفيات عثة النمر، لذا جعلته يبدو وكأنه فتى يبذر البذور. وبعد أن فرغت كأسه الأولى، طرق على الطاولة بأنامله في خفة فرفعت المرأة زجاجة الخمر وصبت كأسًا أخرى عن آخرها بقلب سخي.

"كان أبي يبكي كلما شرب الخمر، ولكن أنا كما ترين لا أبكي". قالها الفتى بصورة غير واضحة.

دوى صوت بكاء طفل صغير من داخل الغرفة، ولكن المرأة تركته. الطفل الصغير سيتوقف عن البكاء وحده. وكشخص مصاب برعاش اليد، رفع الصبي بيدين مرتعشتين كأسه وشرب مرة أخرى. كانت تلك لذة وجيزة جدًّا. ثم قام الصبي ببطء.

"أيتها السيدة، من فضلك لا تموتي على الأقل قبل أن أكبر، فقط صري على أسنانك وتحملي".

أحنى الصبي رأسه عند البوابة. وصاحت المرأة بصوت عالٍ وهي تغلق الباب قائلة:

"فلتصحبك السلامة، ولا تأتِ مرة أخرى".

في تلك الأثناء كان الصبي يمشي كدمية مفكوكة الزنبرك. وكان يعرف وجهته جيدًا. دخل الصبي إلى طريق التل، حيث البيت المنهار يقف في الظلام كالوحش، وهناك كانت تموء هرة ليل،

دائمًا ما كانت تلك الهرة تموء في ذلك الوقت في الخرابة المظلمة، تموء في تلك الخرابة حيث أسياخ الحديد الصدئة جعلت السماء تبدو كأنها انتسجت كالشباك.

كانت الرياح فوق التل أكثر ضراوة، ظل الصبي يصعد المنحدر داسًّا يديه في جيبيه.

كان يقبع على التل دار للأيتام، منطفئة أنواره. وفي تلك الأثناء قد يكون الأطفال نائمين ملتفة أجسادهم حول نفسها كالكرات الصغيرة ليمنعوا عنهم قدر المستطاع برد الشتاء، ربما أحدهم يجز على أسنانه وهو نائم وآخر يتذمر خوفًا من الظلام كما يفعل كل ليلة.

(آه، آه، يا ترى أين هو أبي في تلك الليلة الظلماء)..

تمايل الفتى للحظة، وحتى مع ثمالته من الخمر لم يكن هو ذاك الذي ينسى موضع فتحة الكلاب الموجودة في السلك الشائك والتي تسلل منها. وشعر بالقلق للحظة حول كيفية تمكنه من التسلل بسلام إلى موضع نومه الذي ما زال محتفظًا بحرارة جسده في ظلام الليل المضيء بلون مخملي دون أن ينكشف أمره من قبل المربية. ولكنه سلم نفسه إلى الطبيعة الإيجابية اللامبالية التي يمتلكها السكارى في عوالمهم الخاصة.

هبت رياح مختلطة برائحة الأتربة الباردة من أسفل المنحدر، أخذ الصبي يتشمم الرائحة ككلاب الصيد ويصرّ على أسنانه وقد حسم أمره، غدًا حتمًا سأجد أبي!

***